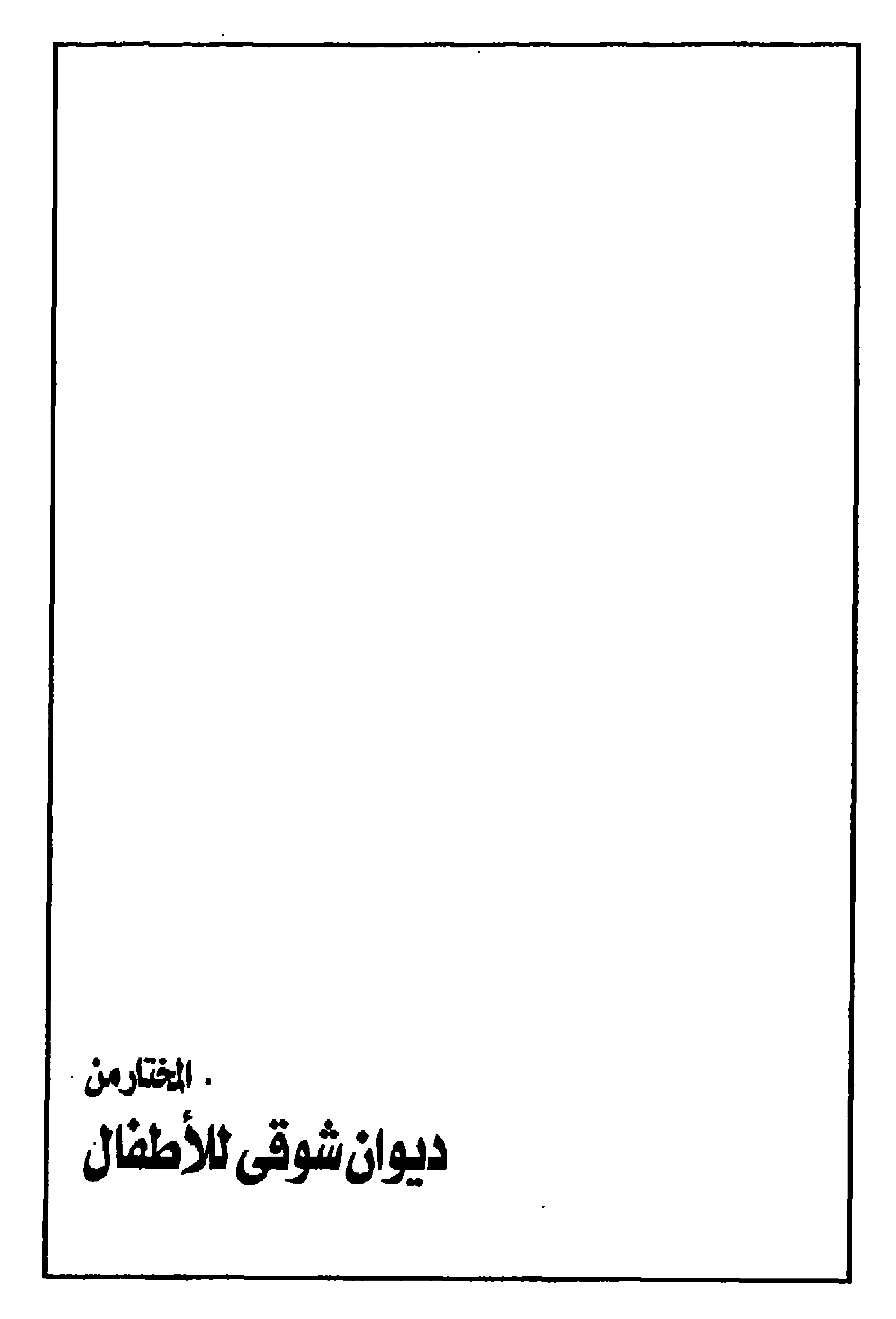


المختار من ديوان شوقي للأطفال

أحمد شوقي



الهيئة المصرية
العامة للكتاب



. المختار من
ديوان شوقى للأطفال

شوقى للأطفال

اسم العمل الفنى: شوقى والأطفال

التقنية: تركيب ومزج بالكمبيوتر

المقاس: ٢٤ × ١٨ سم

بلغ فن تصوير الشخوص ذروته حين استطاع الفنان تسخير فرشاته بنجاح فى تسجيل التعبير المرسوم على الوجوه. وقد تجلى ذلك فى إضفاء الإحساس بالتجسيم تحت تأثير الظلال الساقطة على ملامح الوجوه، وتميز فن البورتريه بتخطى جزئيات الأشياء المرئية وعدم وقوفه عند المحسوسات المشاهدة، وعدم الانحصار فى الجزئيات المرئية؛ بل تجاوزها إلى ما وراء الشخوص موضوع الرسم سواء فى الثياب أو الحركات.

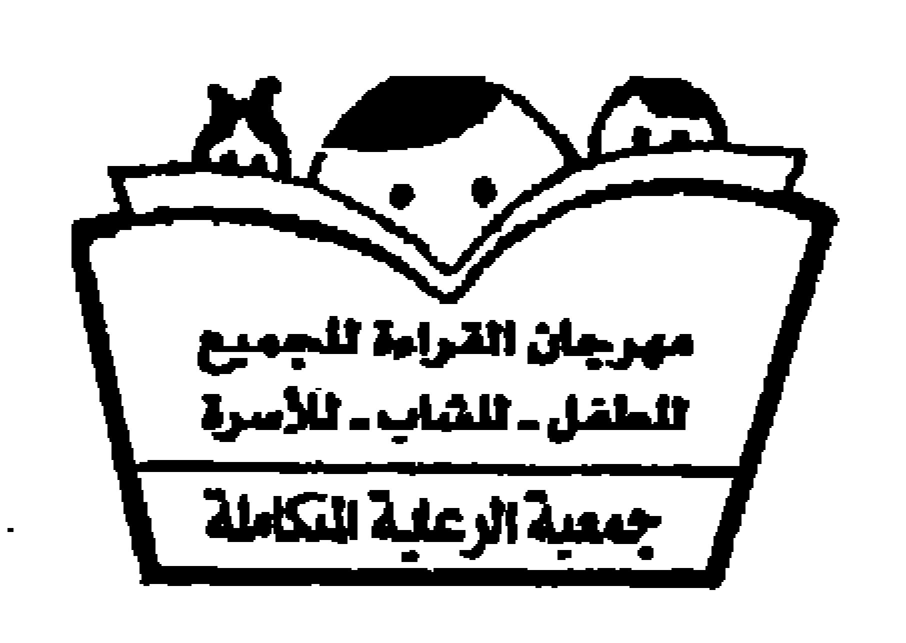
وفى اللوحة المنشورة على الغلاف يمكننا ملاحظة ما أضافه الكمبيوتر حيث وضع تأثيرات توحى بعالم الطفولة والبراءة فى خلفية الصورة، وأضاف العديد من القيم التشكيلية إلى صورة أحمد شوقى الفوتوغرافية.

محمود الهندى

المختار من

ديوان شوقى للأطفال

تقديم: عبد التواب يوسف
إعداد: د. محمد عناني



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الروائع)

المختار من
ديوان شوقي للأطفال
تقديم: أ. عبدالتواب يوسف
إعداد: د. محمد عناني
الغلاف
والإشراف الفني:
الفنان: محمود الهندي
الفنان: صبري عبدالواحد
المشرف العام:
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ: هيئة الكتاب

علي سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة باصدراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيبًا فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصدارتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعًا على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى «مكتبة الأسرة» .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. سمير سرحان

تصدير

من التعريفـات المحدثة لموهبة الأديب اتساع نطاقـها أو مداها ، وهو الذى يقـاس بقدرة الكاتب على تلوين أنغـامه ، أى عـدم اقتصـاره على «نغمة» واحـدة فى كل ما يكتب ، ولما كان تعريف النغـمة عند المحدثين يتضـــمن «موقف» الكاتب مـن مـادته الأدبية ، و«مـوقفـه» من جمـهوره المتوقـع ، أو - فى حالة الشـاعر - من القـارىء أو السامع ، فـإن قدرة الشاعر على الحديـث بأكثر من نغمة واحدة ، أصبـحت دليلاً على اتساع نطـاق مـوهبتـه أو مـداها ، وكلما كـان الكاتب أو الشـاعر قـادراً عـلى الحديث بألسنة كثيرة - أو ما يسمـى فى الدراما بارتداء أقنعة كثيرة - كان أقـدر على تلوين نغمـاته وتمكين موهبته من النمـو فى شتى الاتجاهات ، وأكـبـر الشعـراء إذن ليـسـوا أجـزل الناس عـبـارة فـى كل حـالة ، بل أقدرهـم على التحكم فى الأسلوب وفـقاً للمـوضوع (المادة) ولـلجمـهور المقصود .

ونحن نستدل على النغمة من عدة أشياء فطن لها علماء الأسلوب فى الأدب الحديـث ، ووضعوا لهـا معـايير مـحددة فى علوم اللـغة والأدب

الحديث ، ومن أهم هذه الأشياء فى الشعر مستوى اللغة المستعملة من حيث انتقاء الألفاظ وبناء العبارة وجرسها ، ومن حيث الإيقاع المستخدم ، سواء فيما يتعلق بالبحور الشعرية أو الإيقاع الذى يتجاوز البحر والذى يسمونه الآن Syncopated rhythm ، ونحن نعرف ذلك عند أمير الشعراء أحمد شوقى الذى برع فى تلوين نغماته» فيما عرفه الناس وتغنوا به من شعر بالفصحى والعامية ، إذ تراه يغاير من أنغامه فى كل مرة ، مستقياً إيقاعه من تراث العربية الجزلة مرة ، ومحاكياً نبرات العامية الدارجة مرة ، ومبتدعاً إيقاع تجاوز البحر مرات ومرات ! وهو يصعد إلى أعلى الذرا فى هذا المجال فى شعره المسرحى حيث تملى عليه طبائع الشخصيات تلوين أنغامها ، وفى الشعر العامى حيث يسمح لنفسه برخص شعرية قد يحرمها نفسه فى شعر الفصحى ، وها نحن نرى فى ديوانه للأطفال ، وفي حكاياته الشعرية (التى نسجت على غرار خرافات لافونتين) أنغاماً لانجدها فى شعره الفصيح فى سائر أبواب الشوقيات .

وإذا كانت «خفة الدم» - كما يقول يحيى حقى - موهبة من الله سبحانه وتعالى - أى موهبة فطرية لا سبيل إلى اكتسابها بالجد والاجتهاد ، فإننا نستطيع أن ندرسها ونحللها ، وقد وضع العلماء لها الأصول واستنوا لقياسها السنن ، وليت الدارسين يتناولون هذه الموهبة عند شوقى ، وليتهم يولوها حقها من الدرس والبحث العلمى.

وتفخر مكتبة الأسرة أن تقدم للقراء اليوم (عام ٢٠٠٠) ديوان شوقى للأطفال وحكاياته ، فهو جانب ما يزال مجهولاً لدى الكثيرين عن أمير شعراء العربية فى القرن العشرين .

والله من وراء القصد ،

مكتبة الأسرة

مقدمـة

بقلم: عبد التواب يوسف

تمهيد :

علّمنا أساتذتنا أن الفن اختيار . .

ولكننا أمام د. محمد عنانى ندرك بصدق أن الاخـتيار فن حقيقى ، وليس ذلك بأن التلاعب بالكلمات ، لكنك تقف فى انبهار أمام مقدرة ، تكشف عنهـا أعمـال تلاحقت ، انـتقى لنا فـيهـا شرائح من كـتب أو مجلدات، جـعلنا من خلالـها نتذوق حـلاوة ماجـاء بها ، بل وحـفزت الكثيرين إلى الرجوع إلى الأصل ، فـقد كانت اختياراته فاتحـة للشهية ، إلى تلك الموائد العامرة بداية ، هو يضع يده على كـتاب ، يعلم يقينا أنه ليس من الميسور أو السـهل فى عصر السرعة أن نجـد له وقتا وسط أجندة مزدحمـة بالعمل ، لايكاد الواحد منا يحـقق ماجاء فيهـا ، حتى يكشف انها قـد احتشـدت من جديد ، ولاتكاد ساعـة من ساعـات الليل والنهار تفرغ من عمل مطلوب وانجاز يلاحقوننا به ، وموعد يستحق أن نفى به ، وقلما نجد وقتا نلتقط فيـه انفاسنا ، وفجأه يطل علينا عنوان كتاب ، ونجد انفسنا نقلب ايدينا فى اسف وحسرة . .

- كيف يتأتى لنا أن نقرأ كل هذا ؟

ونشيح عنه بوجوهنا ، موقنين انه لاوقت عندنا له ولا طاقة ، وننصرف إلى شئون أخرى أكثر الحاحا ، إلى أن نفاجأ بذلك العنوان «المختار من . . .» وتمتد أيدينا فى وجل إليه ، وربما فى قلق وانزعاج ، إذ قد يذكر ذلك بتلك المجله التى حملت هذا العنوان واقبل عليها الكثيرون ، فقد كانت تقدم مقالات قصيرة و « لذيذة » مما ينشر فى أمريكا ، ويصرح لها شباب القراء ، حتى فى كندا ، التى تشترى منها مايزيد على تسعة ملايين نسخة ، بينما تغلق المجلات الكندية أبوابها ، لأن أحدا لايشتريها ، وإذا كان هذا يحدث فى كندا ، فما بالكم بما يحدث أو كان يحدث فى بلادنا . . ولكننا اكتشفنا بعد أن طالت فترة اقبالنا عليها وقراءتنا لها أنها تمتعنا خلال ذلك فحسب ، وأنه لايتبقى منها فى نفوسنا الكثير ، وربما نتذكر فقط تلك العبارات القصيرة والحكايات الموجزة التى كانوا يذيلون بها المقالات ، أما هذه فإنها تذهب سدى ، وننساها ، لأنها كانت أشبه بعملية « قزقزة اللب » أو « مضغ اللبان » . . كانت فارغة المحتوى ، لاتستهدف إلا أن نهتف اعجابا بالبلد الذى صدرت عنه . . . أى أن كلمة « المختار » هذه ليست من الكلمات ذات الوقع الطيب على نفوس الكثيرين ، وبالذت هؤلاء الذين يريدون أن يريدون أن يردوا النبع الأصيل ليغترفوا منه ، وما هم بحاجة إلى من يختار له ، فقد يتحكم مزاجه الخاص ، ورؤيته فى هذا الذى يورده ، وفيما يغض الطرف عنه . . وإذا كانت قد اتيحت لنا من قبل قراءة

المجلد، فإننا نمسك بهذا المختار منه ، لنقلب فيه لنعرف مـاذا اختار وماذا ترك ، وإذا لم تكن قد لاحت لنا فرصة القراءة فإننا نرغب فى معرفة ماذا يحوى هذا الكتاب القديم الضخم وأى شئ اختير لنا ، كى نتذوق الأصل «وارانى شخصيا مع الحـالتين أبدا فى « التصفح » ، وإذا بالكتاب الجديد الصغيـر « يسرقنى » ، ويخطفنى من كل ماحولى ، واكـتشف بعد قليل أنه قد أخـذنى أخذ عزيـز مقتـدر وأنه استولى علىّ بالـكامل ، وانسانى الاجندة المحتشـده وجعلنى اغفل عن كل شئ الـلهم إلا هذه المختارات ، التى انتقيت بعناية كاملهُ ، وبدقه ، وبراعة . . وعندما تأتى عليها وتنتهى منها ، يدهشك ماجدت ، إذا أنها نشطت ذهنك وذكرتك بما قرأت ، أو أثارت لديك حب الاستطلاع لتقرأ الأصل . . وساعـتها تجد نفسك مدينا بالشكر والامتنان لمن فعل بك هذا . .

واذكر أنه خـلال الاحتفـال بمرور خمسين عـاما على رحـيل شوقى وحافظ أن ندوة كبيرة أقامها د. عز الدين إسماعيل (عام ١٩٨٤) فى هذه المناسبة ، وقدم الباحثون خـمس دراسات عن شعر شوقى للأطفال ، من بينها ما قدمه المرحوم الدكتور سعـد ظلام ، وقد تحول فيما بعد إلى مجلد ضخم تتجاوز صفحاته ألف صفحة من القطع الكبير : الحكاية على لسان الحيوان فى شعر شوقى . . وقدمت شخصيا دراسة صارت فيما بعد مقدمة لكتاب « ديوان شـوقى للأطفال » جمعـت فيها قـصائده من دواوينه ومن ذلك الذى اورده د. صبرى السربونى فيما سـماه الشوقيات المجهوله ومن

الصحف ، والكتب القديمة التى وقعت فى أيدينا من قبل مثل « الشوقيات للمدارس » وقصائد أحمد شوقى فى الحيوان ، وما إلى ذلك . . وكان ذلك اجتهادا من جانبنا خاصة وقد اسقط شوقى نفسه هذه القصائد من الشوقيات عند اعادة طباعتها ، وخلت دواوينه منها فى عدة طبعات ، إلى أن أشرف المرحوم محمد سعيد العريان على طبعه منها فاعاد هذه القصائد إلى مكانها ، الأمر الذى نحمده له ونشكره عليه . . ولم يكن ذلك بغريب عليه ، وهو الكاتب المبدع للأطفال ، وأول حائز على جائزة الدولة التشجيعية فى أدبهم ونحن لم نكتف بذلك حفاظا على هذا الشعر، من أجل أن يبقى ويظل تحت يد الباحثين والدارسين والمهتمين بأدب الأطفال وثقافتهم عامة ، وبشعرهم وقصائدهم خاصة . . بل عمدنا فى هيئة الكتاب بفكرة موفقه للدكتور عز الدين إسماعيل ، إلى اصدار ستة كتب للأطفال انفسهم ، املاً منا فى إعادتهم إلى ساحة الشعر، فيما عاد أحد منهم يترنم بذلك المطلع الجميل : « يمامة كانت بأعلى الشجرة»، ولا بغيره من هذه القصائد الرائعة فى تقديرنا ، والتى رددتها أجيال سابقة فى حب . . وقد فعلت دار ثقافة الأطفال فى بغداد نفس الشئ حين تصدى المرحوم فتحى طه لإصدار أربع مجدات فاخرة من هذه القصائد ، رسمها الفنان المبدع عبدالشافى سيد ، وأخرجها شريف الراس، أول من يقدم على هذا الفن الرفيع : من اخراج كتب الأطفال ، وكان أن ظهرت فى صورة بديعه جذابه مشوقه ، إلى حد أنها نفدت فى

أسواق بغداد ، ولم يستطع المشرفون على توزيع الكتب الوصلو بها إلى الأقاليم . . . . انها محاولات جادة لكى تبعى هذه القصائد فى تناول يد الكبار لدراستها، والصغار لقراءتها . . فكان أن لقيت الاهتمام الكبير من الدكتور على الحديدى عضوا المجمع اللغوى ، والمجمع العلمى ورائد الدراسات الحديثه فى أدب الأطفال ، بجانب اهتمام د. أحمد كنعان من سوريا بهذه القصائد فى دراسته المعمقة فى شعر الأطفال ، وايضا د. إبراهيم محمد صبيح من الأردن فى كتابه الطفوله فى الشعر العربى الحديث ، ونستطيع أن نضع قائمة طويله بمن أولوها الاعجاب ، وهاهو د. محمد عنانى يضيف كتابه هذا ، ضمن مكتبة الأسرة ، وليلقى انتشارا واسعا ، بين القراء الكبار ، ليستمتعوا بها أولا ، ولكى تصل إلى الأطفال من خلالهم، .فليس هناك أروع من ترد يدها على مسامعهم ، بل ليت الأمهات يقرأنها لهم ، ويشرحون بعض كلماتها مما يصعب علهيم فهمها. . إن بنا رغبه عارمة فى أن نصل بالشعر إلى أطفالنا ، وأن يصلوا هم إليه ، لأن « الشعر فكر » ، وليس ادل على ذلك من ترجمة د. زكى نجيب محمود - ذلك المفكر الرائع - بقصائد عباس محمود العقاد ، التى ينكرها البعض ، لكن الأمريكيين انبهروا بها . . كما أن «الشعر صور» ، ترسمها الكلمات ، وتجعل أطفالنا يتخيلونها ، فتتسع آفاقهم ، وإنسان بلاخيال يفقد أروع منحه اعطاها الله له . . «الشعر موسيقى» : هى مدخل إليه ، أو هو طريقهم إليها ، ومن خلاله ندرب آذانهم على

الاوزان ، والبحور ، والألحان والأنغام . . إن الشعر فى العصر الحديث هو الملاذ ، وهو النجاة بالنفس والروح فى عصر تحكمت فيه الماديات .

١ - شعر الأطفال

بين أنصاره ومعارضيه

فى المؤتمر الذى عقده « المكتب الدولى لكتب الأطفال » فى أثينا عام ١٩٧٦ ، تساءل البعض :

- هل « الشعر » ضرورة للأطفال ؟؛

ودارت مناقشات مستفيضة حول هذه القضية ، وظهر أن لشعر الأطفال معارضين ، ومؤيدين . . وكل له حجته .

إن النغم صفة مميزة للشعر ، يسهل إدراكها وتقييمها ، ولو أنه قد يكون موجوداً فى غير الشعر ، بل قد لا يخلو منه النثر أيضاً ، ولكن القيمة التى ينفرد بها الشعر فى ميدان الأدب هى التركيز . ،. مما يدفع البعض للقول إن هذه الناحية تجعل الشعر صعب الفهم بالنسبة للأطفال، ولكن الواقع أن ما يجتذب الأطفال بوجه عام الاقتضاب إلى جانبى الاتجاه المباشر عند بحث الأشياء التى يألفونها ، ثم إنه لا توجد قيود على الموضوعات التى يعالجها الشعر ، إذ أنه يعالج أى شئ تحت الشمس ،

ولكن الطريقة التى ينبغى أن يعالج بها هذه المحتويات هى التى تخضع للتحديد ، فالقدرة الفنية تقتضى التعبير عن الكثير فى كلمات قليلة ، واستثناء عدد كبير من الخبرات فى سطر واحد وتوضيح أن ماترك دون ذكر ، لا يقل دلالة عما ذكر ، وكل يحتاج إلى مهارة فائقة فى استخدام الكلمات ، وإذا كانت القافية والنغم اوالأسلوب - مع مالها من أثر فى التركيز المطلوب - عناصر مقيدة للشاعر ، إلا أنها فى نفس الوقت ذات أثر كبير فى إرشاد المستمع أو القارئ ، ويستطيع المصلحون أن يعينوا الأطفال على أن يحبوا الشعر ، فى ضوء مساعدتهم لهم على إدارك الحقيقة التالية ، وهى أن الشاعر يكتسب صفته كشاعر لأنه يرى أكثر من غيره ، ولأنه يستطيع أن يتحدث عما يراه بأكثر الطرق اختصاراً وأقربها إلى الموسيقى .

على أنه سرعان ما تغلب أنصار شعر الأطفال على معارضيهم . . وكانت حجتهم البليغة « الطفل ذاته » . .

إن الطفل ، حتى وعمره عام واحد يتوقف عن حركاته واهتزازاته إذا هو سمع مقطوعة من الشعر : منغمة ، ملحنة ، موقعة ، مغناة ، وبعدها قد تضئ وجهه ابتسامة حلوة ، الأمر الذى يؤكد التأثير السحرى للشعر . . ولو أننا أعدنا على مسمعه ذات المعانى بدون تنغيم ، أو توقيع فلن يعيرها اهتماماً أو التفاتاً . . والصغار الذين يتقافزون كالقرود لو قرأنا عليهم شعراً جيداً لاستكانوا ، وهدءوا وثبتوا فى أماكنهم ، وتوالت على

وجوههم ألوان شتى من الانفعالات .. وسرعان ما تلتصق بآذانهم ، فيرددونها ، حتى لتصبح جزءًا لا يتجزأ من مكوناتهم ، ولا ينسونها أبداً .. إنهم لا يستوعبونها معنى ، وفكراً ، لكنهم بدون شك يستمتعون بها ، وبوقعها ، وبلغتها ، والصور التى ترسمها ، فهى تثير الخيال ، وتفتح أمامه آفاقا لا تحد .. وقراءة الشعر للأطفال سوف تثبت أنه من أحب الأشياء إلى نفوسهم وتكرار قراءته سيؤكد هذه الحقيقة ، لكن السؤال الذى يطرح نفسه :

- ماذا نقرأ لهم ، ومن يقرأ هذا الشعر إذا عثرنا عليه ؟؛!

قليل ذلك الشعر الذى كتب للأطفال بالعربية ، والأمية نسبتها مرتفعة بين الأمهات كما أن المعلمات ، والمعلمين ، لأطفال المرحلة الابتدائية منصرفات عن الشعر ، وكذلك أجهزة الإعلام والمثقفين فى الأندية والتجمعات .

ولا نقول : إن « كل » الأطفال يحبون الشعر ، لكن أغلبهم يحبون الاستماع إليه ، كالموسيقى .. ونؤكد أن كل طفل يجد فرصة لسماع الشعر سيتعلق به ، والتجربة تؤيد هذا .. فما عرفت طفلاً لا يستمتع بالشعر إذا قرأناه عليه .. ونحن نردد دائماً « قال الشاعر » ، وقلما نذكر عبارة « كتب الشاعر » ، لأن الشعر « فن قولى » ، وهو كالموسيقى : يقال ليستمع إليه ، أكثر مما يقال ليقرأ قراءة صامتة فى ديوان .. إنه فارق دقيق ، لكنه يعنى الكثير بالنسبة للأطفال ، خاصة هؤلاء المبتدئين فى القراءة ، إذ أنهم يتعثرون فى تلاوة الشعر المكتوب ، فيفقدون

موسيقاه ، حتى أولئك الذين هم فى التاسـعة والعاشرة يحدث معهم هذا ، ولا يجيدون قراءة الشعر بأوزانه ، فيضيع منهم أجمل ما يحبونه فيه .

والأطفال يقبلـون على الشعر البسيط ، الـذى يروى قصة ، ويكون فكاهيًا مرحاً ، كـما أنهم يفضلونه في صـورة « غناء » أو « نشيد » أى التى تحاكى حـركة إنسان ، أو حـيوان ، أو ماكـينة أو أى شئ أو التى تحكى قصة عمل ، كعمل البنَّاء أو السائق ، أو العامل (الحداد) أو التى تصف الفصـول والتحولات المنظورة وصـفاً دراميًا . . . الخ . كـما أنهم يميلون إلى أن يكون قـصيـراً . . وأغلب الشـعر الفكاهى للأطفـال يدور حول الحيوان . . ونحن نعرف أن الطفل يحب القصـة ، فإذا ما اجتمعت هذه العناصر : الشعر ، والفكاهة ، والحـيوان ، والقصة ، فلا شك أننا سنجتذب إلينا الطفل ونكسبه إلى صفنا . .

وقد فعل شوقى كل ذلك فى قصائده للأطفال وكسب بها أجيالاً عدة.

٢ - القصص الحيوانى

فى الأدب العالمى

القصص الحيوانى هو ذلك الفن الرفيع من فنون الأدب ، الذى اعتد به القـدماء ، والمحـدثون من الأدباء ، من كتـاب وشعـراء ، وبذلوا فى سبيله جهوداً جبارة موفقة حتى اتقنوه وأحكموه . . وهى فى أروع حالاتها وأعلى درجاتها حكايات مستطرفة وأحاديث ، مـستملحة ، تتضمن أقوالاً

وأفعالاً تعـزى إلى الحيوانات ، ويقصد منها تهـذيب الأخلاق ، وتقويم السلوك ، وإذاعة الآداب الراقـية ، ونشر الحكـم الصالحة بطريقـة جذابة وأسلوب مؤثر خلاب . .

وكان الشـائع فى العصور الماضيـة أن أيسوب هو أول من ابتكر هذا الفن القـصصى ، لكن مـعظم المؤرخين وعلمـاء الاجـتمـاع فى عصـرنا الحاضر، يرون أن عهد ظهور القصص الحـيوانية أبعد ، وأقدم بكثير من عهد أيسوب . . لأن الإنسان ميال بطبعه منذ أقدم العصور إلى التعبير عن أفكاره ، وعن المعانى التي تعن له بوسائل مادية وطرق حية . . ويبدو أن القصص الحيوانية لم يكن يقصد بها فى أول الأمر إلا التسلية والفكاهة ، مع التعريف ببعض الحيوانات وطرق معـيشتها ، دون نظر إلى مغزى أو قصد إلـى موعظة خلقية . . وظهـرت حكايات الحيوان الخلقيـة والوعظية متـأخرة ، ويعد الشـرق مصدرها . . وقـد بدأت بما نسمّـيه « الحكايات السببيـة » ، إذ اكان القدماء غيرقادرين على تفسـير الكثير من الظواهر : لماذا هذا السنام فوق ظهر الجمل ؟ لم طال عنق الزرافـة ؟ ما السرفى جود خرطوم الفيل ؟! . . لقد ابتكروا لذلك أسباباً وتفسيرات شبيهة بقولهم: إن النيل يفـيض من دموع إيزيس ، وإن الرعـد خيل تركض فى السـماء وهكذا . . ورويت هذه الحكايات شـفاهاً ، وتناقلتهـا الأجيـال ، والتقط ريدارد كبلنج - الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٠٧ بعضاً منها وسجله فى كتبه . .

وتعتبر « بنـچه تانترا » أى « الفصول الخمسـة » أقدم ما وصل إلى أيدينا من قصص الحيوان عند القدماء وكـانت باللغة السنسيكرتية ، وعنها اقتـبست بعض حكايات كليلة ودمنة . . ويبـدو أن كتابة قصص الحـيوان ترجع إلى قـربها من الإنسـان ولأن لها طبـاعاً معـروفة ثابتـة لدى كل البشر، وعادات مألوفـة لجميع الناس . . القط قط فى كل زمان ومكان ، أما البـشر فيخـتلفون فى اللغة ، والعـادات ، والتقاليـد ، والشرائع . . إلخ، فمن يتحدث عن الذئب والحـمل ، أو عن الأسد والثور ، يتحدث إلى الناس جمـيعاً ، كـما أن المشاركـة الوجدانية عند الإنسـان تجعل من الصعب عليه أن يصدر أحكاماً خلقية صريحة ناضجة ، خالية من شوائب التحيز لأخيه الإنسان أو ضده ، ولذا كـانت القصص الحيوانية الخيالية ، الخالية من تدخل عنصر الإنسانية ، ومن عاطفة محبة النوع الإنسانى أقوى تأثيراً ، وأعلى شـأناً ، وأصدق تصويراً للحـياة والأخلاق الإنسـانية . . هكذا كان يرى الشاعر الألمانى لسنج .

على أن البعض يرى أن هذه القصص نشأ عن عقيدة كانت ثابتة فى نفوس الأقـدمين ، تلك هى القول بتناسخ الأرواح ما بين الحيـوانات وما بين البشـر ، الأمر الذى وصل بهم إلى تقديس بعض أنواعـها ، وخلق حكايات أسطورية حولها ، كالجعران عند قدماء المصريين ، وتصورهم أنه يخلق نفسـه بنفسـه ، والبـقرة عنـد الهندوس . . إلخ ، وتطورت هذه القصص ، ونمت ، واستـخدم بعضا لتدريب الأطفـال على التعرف على

الحيوانات ، وتنبيهه للمفترس منها ، والمستأنس الصديق . . وكانت هذه القصص تستهوى الأطفال كثيراً ، خاصة فى السن المبكرة ، فهم شغوفون بالحيوانات ويرونها قريبة الشبه منهم ، فيألفونها ويقتربون منها كثيراً بل كثيراً ما يحدثونها ، ويتكلمون إليها .

ويتبقى السبب السياسى الذى يكمن وراء سرد القصص الحيوانى ، إذ يلجأ الكاتب إلى رواية قصص رمزى ، يهاجم فيها خصومه ، ويشكف عن سيئاتهم ، من خلال استعمال التشبيه والمجاوز والكناية وما إليها . . ويستمتع القارئ بهذه القصص ، وهو قادر دائماً على استخدام ذكائه فى الكشف عما يريده الكاتب . . والمستبدون من الحكام والمستعمرين يضيقون ذرعاً بهذا اللون من القصص الحيوانى ، وقيل إن ابن المقفع دفع حياته ثمناً لكتابة كليلة ودمنة ، إذ أهديت له حلة مسمومة قضت عليه . .

٣ - شوقى

وقصص « كليلة ودمنة »

تأثر شوقى ، بلا شك ، بقصص كليلة ودمنة ، تأثراً كبيراً وواضحاً، ويقول د. على الحديدى فى كتابة (فى أدب الأطفال) . . «أما الذى يدعو للدهشة فإن شوقى يعلن أنه قرأ حكايات (لافونتين) ، ويصرح بأنه تأثر به ، فجرب خاطره فى نظم الحكايات للأطفال على

أسلوبه وطريقته - كما جاء فى مقدمته للطبعة الأولى من الشوقيات - ولم يذكر شيئاً عن قراءته أو تأثره بـ (كليلة ودمنة) المصدر الأصيل لأدب الحيوان ، والمنبع الذى تأثر به أدباء العالم على رأسهم (لافونتين) نفسه . ويقول فى مقدمة الجزء الثانى من حكاياته : (ليس من الضرورى فيما أرى أن أذكر المصادر التى أخذت عنها هذه الحكايات الأخيرة ، غير أنى أقول اعترافاً بالجميل : إنى مدين فى أكثرها للحكيم الهندى بلباى - بيدبا - الذى ترجم كتابه إلى كل اللغات) وكذلك نجد (لافونتين) الفرنسى يعتز بتأثره بحكايات بيدبا ، ويعترف بجميلها عليه ، بينما (شوقى) ولابد أنه قرأها فى مصدرها الأصلى (كليلة ودمنة) - يتجاهلها ولا نسمع لها منه ذكراً ، وأقرب التعليلات إلى الذهن أن (شوقى) وجد أن تأثره بحكايات (لافونتين) أقوى من تأثره بكليلة ودمنة . ذلك لأن (لافونتين) بلغ بحكايات الحيوان أقصى ما قدر لها من كما فنى، فشوقى أخذ من لافونتين الخصائص الفنية والأسس والقواعد العامة لهذا اللون من الأدب ، بينما كليلة ودمنة لم تقدم إلا مادة بعض موضوعاته ، التى تصرف فيها حسب مقتضيات فن أستاذه ، وظلت الأسس والخصائص الفنية غريبة الوجه والصورة ، ومن ناحية أخرى فإن ارتباط شوقى وهو فى مطلع الحياة - إذ نظم هذه الحكايات قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره - بأديب غربى طبقت شهرته الآفاق فى هذا المجال ، لابد وأن يعكس عليه قدراً من هذه الشهرة فيقبل عليه القراء ، خاصة والناس فى

ذلك الوقت قد تفتحت لهم أبواب الثقافة الغربية ، فبهرتهم وخطفت أبصارهم ، وجعلتهم وخطفت أبصارهم ، وجعلتهم ينظرون إلى كل ماهو غربى نظرة إكبار وتقدير » . .

ونحن نتفق مع د. على الحديدى فيما قاله من أن شوقى (لم يذكر شيئاً عن قراءته أو تأثره بـ «كليلة ودمنة») ، لكننا نختلف معه فى تعليله لذلك ، فإن شوقى فى ذلك الحين كان لدى قراء العربية أشهر من (لافونتين)، وقد نظم (شوقى) قصيدة تصدرت كتاب (زعموا أن . . أو كليلة ودمنة بالصور) نظم الشيخ « محمد عبد الرحيم ترة » (١٨٨١ - ١٩٣١) ، ويقول شوقى فى هذه القصيدة :

بيان ابن المقفع عاد شعراً	وفصل بالحقيقة والصواب
أتى «عبد الرحيم» به فصولاً	وروائع فى التحاور والخطابِ
شوائق كالدُّبى تحت الفوادى	روائق كالينابيع العذاب
تطوف عليْك من كَرم القَوافِى	ألذ من الغِناء على الشراب
جزاك الله (ترة) كل خير	عن النشء المثقَّف والشباب
وعن أحكام آداب غوال	تروع العقل فى هذا الكتَاب

هذه الأبيات تؤكد أن « شوقى » توفر على قراءة « كليلة ودمنة » بل وقرأ قصصها نظماً فى هذا الكتاب ، الذى نرى أن صاحبه قد استجاب لدعوة شوقى « والمأمول أن نتعاون على إيجاد شعر للأطفال » ، والتعليل

البسـيط لإغفـال شوقى ذكـر « كليلة ودمنة » أنها كـانت فى ذلك الحين أشهرمن أن يشار إليها ، وربما فاتته الإشارة إليها وجل من لا يسهو . .

٤ - مصادر شوقى
فى شعره للأطفال

كـانت هناك مصـادر أربعـة لشعـر شـوقى فى الحيـوان : الأول : حكايات لافونتين . . الثـانى : القصص الدينى ، والثـالث : هو التراث العربى ، أما الرابع فهو من تجاربه الخاصة . . وسنعطى نموذجا لكل لون من هذه الألوان . .

(أ)

اقـتبس شـوقى حكاية (الديك والثعلب) عن لافـونتين . . وهى تحكى قـصة ثعلب أراد أن يخـدع ديكًا يقف فوق الشـجرة ، فألقـى إليه بالتـحيـة ، وأعلن أنه قد جـاء لينقل إليه خـبر اسـتتبا ب السـلام بين الحيوانات ، وانتهاء عدوان بعضها على البعض ، وسأله أن ينزل من على الشجرة ليحتفلا بهذه المناسبة ، غير أن الديك الذكى أشار إلى بعيد قائلاً إن كلاب الصيـد قادمة من بعيد لتـشارك فى الاحتفال ، فـأسرع الثعلب بالهرب معلناً أن عنده موعداً ، وأنـه يخشى ألا تكون الكلاب قد سمعت بأمر السلام الجديد . .

وقد نظم شوقى هذه الحكاية ، وأضفى عليها الكثير مما عنده ، ووضع فيها لمسات دينية ، وعربية ، تجعلها قريبة من نفوس أبنائنا . .

(ب)

ومن التراث الدينى يتخذ أحمد شوقى من (سفينة نوح) مسرحاً لتسع قصص فى قصائد . و« القرد فى السفينة » هى فكرة الراعى الذى يكان يمزح ويصرخ : الذئب الذئب ، وعندما جاء الذئب لم يصدقوه ففتك بالماشية ، والقصة مقتبسة من لافونتين ، أضفى عليها شوقى الطابع الدينى . . وفى قصة (نوح والنملة) ، تود هذه أن تلى أمور السفينة ، ويضحك نوح منها ويشبهها بالإنسان الذى يتصور أنه قادر على أن يسوس الزمان ؛ ، ويحكى شوقى فى قصة « الدب فى السفينة » كيف أساء هذا الظن بما يجرى ، ولم يمتثل بأمر نوح فألقى بنفسه فى الماء ، وعندما جاءه الموت بطيئاً ، كانت السفينة ترسو إلى شط الأمان . ، أما (الثعلب فى السفينة) فيعلن توبته ، لكنه ما إن ينزل إلى الأرض حتى يعود إلى طبعه الخبيث حانثا بيمينه ، فيأكل رفاقه الذين أقسم لهم أنه لن يمسهم بسوء . .

وخلال رحلة السفينة وعد الليث صديقه الذئب بأن يجعله والى الولاة إذا نجت السفينة ، وعندما نجت السفينة أقبل الذئب على الليث يذكره بوعده ، فيتنكر له هذا ، ويسأله عمن يكون ، ويجيبه الذئب بأنه

والى الولاة سـابقاً ؛ . . وأعلن الثـعلب توبته وهو على ظهـر السفـينة ، وقـال أنـه عفـاً عن أكل أرنب كـــان يلعب تحت منـزله ، لكن الأرض كشفت عن السر : كان الثعلب يومـئذ يكاد يموت من التخمة ، لا لأكثر ولا أقل . . وكـانت الأرنبة حـاملاً ، وعندمـا جاءها المخـاض ، أعلنت «بنت عرس» أنها ستساعدها لأنها كانت « داية » ، لكن الأرنبة ترفض ، وتأبى إلا أن تكون القـابلة من بنات جنسهـا ، ويختتم شـوقى حكايات سفـينة نوح بحكاية الحـمار الذى سقـط بين الأمواج وبكاه رفاقـه ، لكن موجة ردته إليـهم ، لأنه لا يُهضم ؛ ويحكى أمير الشـعراء أربع قصص عن سيدنا سليمان والطير ، وتدور حول : الهدهد والطاووس ، والحمامة ، ثم البلابل التى رباها البوم . .

ويشكو الطاووس من حرمانه من جمـال الصوت ، ويلجأ إلى سيدنا سليمان كى يمنحة هذه الهبة ، غير أن نبى الله يعرف عن يقين مدى غرور الطاووس ، فيقول له :

فلـــو أصبحــت ذا صـوت   لمــــا كلَّمْـــــت إنســـانًا !

وكانت الحمامة ساعى البريد لـسيدنا سليمان ، لكنها رفضت رسالة تحملها ، دفعـها إلى ذلك حب الاستطلاع ، وعادت محـرجة إلى سيدنا سليمان تعلن عن فقد الرسائل التى كـانت كلها لتكريمها شخصياً ، لكنه أدرك حقيقة ما حدث ، وقال لها . .

« من خَانَ خانَتْهُ الكَرامَةُ » !

وتحكى القصة الرابعـة حكاية مجموعة بلابل أعطاها سيـدنا سليمان إلى البوم لتربيتها . . وإذا بها بعد حين تكف عن التغريد والغناء ، فأراد أن يذبحها لخرسها ، لكن الهدهد اعتذر عنها لسيدنا سليمان قائلاً :

بلابل اللهِ لـم تخـرس ولا وُلِدَتْ   خُرْسًا ولكنَّ بوم الشؤم رباها . .

ونحن نلـمس بوضـوح أن « شـــوقى » وضع من عنـده أفكار هذه القصص ، مستلهمًا التراث الدينى ، ولـم يلجأ للقصص التى رواها القرآن الكريم عن سيدنا نوح وسيدنا سليمان ، فقط هو استثمر وجود الحيوانات على سفيـنة نوح ، وألف عنها حكاياته . . كما أنه اسـتفاد من معـرفته لقدرة سيدنا سليمان على التحـدث إلى الطير ، فكتب قصصه حولها . . ومما لا شك فيـه أنه فى حكاياته وقـصصه - ذات الطابع الـدينى - كان مبدعًا وخلاقًا ، ولا يقلل من قيمتها تلك الحكم والمواعظ التى كان يختم بها قصائده ، فـقد كان ذلك سمة غالبة على مـا ينشر حتى فى أوربا فى ذلك الحين ، إذ كانت حكايات إيسوب ولافونتين وجريم فى أواخر القرن الماضى ، توضع بين أيدى الأطفال ، وقد سطر فى نهايتها بحروف بارزة «المغزى» والهدف منها ، بقصد التعليم والتهذيب والتربية . . وإن كانت التربيـة الحديثة تقول بأن هذا لا يجـدى كثيرًا ، وأننا مطالبـون فقط بأن نترك فى نفوس الأطفال انطباعًا عامًا بـأن الخير دائمًا منتصر على الشر ، وأن نرسب فـى قلـوبهـم وعقـولهم أن الفضـيلة تهـزم الرذيلة فى المدى

البعيد .. كما أنه لا يفوتنا أن نذكر أن كثيرين من شعراء العربية القدامى كانوا يختمون قصائدهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

(جـ)

وكان المصدر الثالث هو التراث العربى ، وفيه الكثير من الخرافات المروية على ألسنة الحيوان ، وتشير د. نفوسة زكريًا إلى حكاية «الصياد والعصفورة» التى أوردها وهب بن منبه فى كتابه التيجان، ونقلها عنه ابن عبد ربه فى العقد الفريد فى كتاب «الجوهرة فى الأمثال» تحت عنوان «مثل فى الرياء» .. وهذا نصها .. (نصب رجل من بنى إسرائيل فخًا ، فجاءت عصفورة فنزلت عليه ، فقالت :

- مالى أراك منحنيًا ؟!

قال : لكثرة صلاتى انحنيت .

- فمالى أرى هذا الصوف عليك ؟

قال : لزهادتى فى الدنيا لبست الصوف .

- فما هذه العصا عندك ؟

قال : أتوكأ عليها وأقضى حوائجى .

- فما هذه الحبة فى يدك ؟

قال : قربان إنْ مرَّ بى مسكين ناولته إياها فخذيها !

ودنت فقبضت على الحبة، وإذا الفخ أعنقها ، فجعلت تقول :

- قعى قعى . .

(وتفسيره لا غرنى ناسك مراء بعدك أبدًا)

وقد نظم شوقى هذه الحكاية فى قصيدة الصياد والعصفورة .

(د)

وكان شوقى مبدعًا وخلاقًا فى الكثير من مقطوعاته الشعرية للأطفال، وقد يصعب علينا أن نحدد تلك القصائد التى ألفها من عنده ، فلا قدرة لأحد على الإحاطة بكل حكايات التراث ، وخرافات أيسوب ولافونتين ، وربما أخذ الفكرة وصاغها بطريقته فتبدو جديدة . . إن «جزاء الإحسان بالكفران» الواردة فى (الشوقيات المجهولة) يمكن أن تكون فى إبداعه ، وفيها يقول :

رأيت على صخرة عقربًا	وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها : إنها صخرة	وطبعك من طبعها ألينا
فقالت : صدقت ولكننى	أردت أن أعرفها من أنا

كما أن مقطوعة مثل « ضيافة قطة » ، نشعر معها أنها تجربة خاصة .

الأغنيات والأناشيد:

نظم شوقى « مجموعة من الشعر السهل لتكون للأطفال أدبا وثقافة »، ونشرت فى الجزء الرابع من الشوقيات ، بعضها يدور حول الحيوان ، مثل « الهرة والنظافة » و « الرفق بالحيوان » و « ولد الغراب » و «الوطن» وهى لا تختلف كثيراً عن قصص الحيوان والبعض الآخر يتحدث عن الأسرة : « الجدة » و « الأم » . . كما تحدث عن «النيل» و«المدرسة» ونظم عدة أناشيد منها « نشيد مصر » و « نشيد الكشافة » و «نشيد الشبان المسلمين » والأخير نشر فى (الشوقيات المجهولة) . . ونحن مع القائلين بأن شوقى لم يوفق فى هذه الأناشيد وتلك الأغنيات ، ليس لأن الكلمات من خارج قاموس الطفل فحسب ، بل لأن العبارات والتراكيب صعبة معقدة ، فضلاً عن أنها مباشرة بشكل واضح . . يقول فى نشيد المدرسة . .

أنا المدرَسَةُ اجْعَلْنِى   كَأُمٍّ لا تَمِـلْ عَنِّى

أنا المصباحُ للفِكْرِ   أنا المفتاحُ للذِّهْنِ

أنا البابُ إلى المَجْدِ   تَعَالَ ادخل على اليُمْنِ

ولعل نظمها فى المناسبات المختلفة كان وراء خلوها من الصور والمشاعر ، الأمر الذى جعلها تتفق مع المناسبة ، ولا تتناسب مع الأطفال . . نشيد الشبان المسلمين :

العزُّ للإسْلاَم ... مَنارةُ الوجُودِ
هدايةُ الإِمام ... ومطلُع السعُودِ

*

عصابةُ الصِّدِّيقِ ... ورايَةُ الفاروقِ
والحقُّ والوسِيلَة ... والسمحة الظَّليلة
ومعقَلُ الفضيلةِ ... وغايةُ الأسودِ

*

الفُرْسُ فى لوائه ... والهندُ فى ضيائه
فى الأرض صارَ كالعَلَم ... بِعزَّة تمحو الظُّلَم
بين الكتابِ والقلم ... مظفَّر الجنود

*

الشامُ من أسرته ... ومصر نور غُرَّته
من هالةَ لهالَة ... يمزِّقُ الجهالَة
ويهزِمُ الضَّلالَة ... ويَحْطِمُ القيُود

عـــــــــلاقَةُ الـقـلـوب	وعُرْوَةُ الـشـــــــــعُوبِ
مـــشى هُدًى ورحـــمـــة	بـــيـــنـــهـــم وذِمَّة
فـــلـــيـــسَ بـــين أُمَّة	وأُخْتِهــــــــا حُدود

٥ - شعر للكبار

وليس للأطفال

* وبعض قـصائد شـوقى فى الحيـوان لا يتصـور قط أنه كتـبهـا للأطفال، ولا يمكـن أن يكون قد اجتـمع بأحداث المصـريين - على حد قوله- وقرأها عليهم . . مثال ذلك حكاية « القرد والفيل » ، وفيها يلتقى قرد نصف أعمى مع الفـيل ، ويروح القرد يمتدحه شعراً ، ويسـعد الفيل بالمديح ، ويركب ذلك القرد الشاعر على ظهر الفيل :

فـــجـالَ فــى الظهـــر بلا توان	حـتى إذا لم يـبق من مكان . .
أوفى على الـشىء الذى لا يُذْكَرُ	وأدخل الأصـبع فيـه يخبـر . .
فاتَّهم الـفيلُ البعـوضَ واضطرب	وضـيق الثـقبَ وصـال بالذَّنَب
فـوقع الـضـرب على الســليـمَة	فلحـــقت بأختِــهـــا الكريمَة !

. . . إلخ

* وهناك قصائد لهـا فلسفتها ، التى قد تصلح للكبـار وتمتعهم ، غيـر أنها لا تـتفق مع المفـاهيم والقيم التى نسـعى لغرسـها فى نـفوس الأطفال، وخير مثال لذلك مقطوعة جميلة بحق ، يتحدث فيها شوقى عن «ساعته» . .

لى سـاعـةٌ منْ مـعـدنِ — لا يـقـتَنيـهَا مُقْتَنِ
تـعـجـل دقًّا وتَنِى — مـثل فـؤادِ المدمنِ
وعـقـرباها والـزمـا — ن فى اخـتـلاف بيِّنِ
إذا مَشَتْ لـم أحتَفِل — أو وقـفَتْ لـم أحْزَنِ
أو أخَّرتْ لـم يُجْدِنِ — أو قـدَّمَتْ لـم أُغْبَنِ
أحـمِلُهَا لأنَّهَا — تَغُشُّنِى فـى الـزَّمَن

* وحكاية « الفـأرة والقط » قـد لا يتـقـبلهـا الكثيـرون كـأدب للأطفـال، وفيـها يأتى الناعى إلى الفـأرة بموت فتـاها ، فـتبـدى الحزن وتولول، وتعلن أنها تتـمنى قطًّا يريحها من عـذاب حياتهـا ، وهنا يبرز القط . .

فـفـزعَتْ لما رأتْهُ الفـارةَ — واعـتـصَمت منه ببيْتِ الجَارة
وأشـرفت تقـولُ للسَّفِيـه — إن مت بْعدَ ابنى فَمَنْ يَبْكِيه ؟

* وهناك قصائد لها طابعها السياسى الواضح ، واضطر شوقى إلى أن يتخفى وراء قصص الحيوان - شأنه فى ذلك شأن ابن المقفع - لكى يعلن عن آرائه وأفكاره فى فترة استبد فيها الاستعمار بأمور البلاد ، وكبل حرية التعبير بقيود ثقيلة ، وكان للقصر وأسرة محمد على - رغم صلة شوقى بالخديوى - ما هو معروف من مؤامرات تستهدف المحافظة على العرش ، واستغلال الشعب . . وقد طرق شوقى موضوعات تتصل بالحياة القائمة فى عصره : اجتماعية وسياسية ، وكانت رموزه واضحة جلية ، لا تحتاج إلى كثير من الذكاء لكى يدركها القارئ العادى . . فى حكايته (الديك الهندى والدجاج البلدى) قصد شوقى أن ينبه المواطنين إلى تسلل الاستعمار إلى بلادهم وسيطرته على كل مقدراتهم . . لقد رمز إلى الأجنبى بالديك الهندى ، لذى دخل إلى بيت الدجاج البلدى ، واستخدم أساليبه المعروفة ، جاء ضيفًا ليبقى ، وليتحكم . . وتكرر منه نفس الرمز فى (الأفعى النيلية والعقربة الهندية) . . إن الأفعى بنت النيل . .

تحتقر النُّصحَ وتجفُو الناصِحَا وتدَّعى العقلَ الكبيرَ الراجِحَا

وقد طاردت عقربة هندية ، فاختفت هذه فى جحرها ، واغترت الأفعى بذلك ، ونامت ، فخرجت إليها العقربة الخبيثة لتلدغها فى دماغها . .

من مَلَكَ الخِصْمَ ونامَ عنْه يُصبِح يَلْقَى ما لِقيتُ مِنْه

وتبدو الأمور السياسية أكثر وضوحًا فى قصيدة « أمة الأرانب والفيل » . . والتشبيهات هنا لا تحتاج إلى تفسير ، فهى جلية ، من السهل إدراكها . . إنه يتحدث عن « أمة » وإن كانت من الأرانب الضعيفة ، التى تشتهر بالخوف والوجل ، خاصة أمام « الفيل » الذى راح يعتدى على وطن هذه الأرانب ، معتمدًا على قوته وضخامته ، فقام من بين الأرانب من ينادى بالاتحاد لمواجهة شرور الفيل . . وتفرقت الآراء وتبعثرت ، لكن عندما توحدت الكلمة استطاعت الأرانب أن تهزم الفيل ، وأقبلت على صاحب الخطة التى نجحت فى الإيقاع بعدوهم ، لتحييه وتحتفل به ، وإذا به يرجع الفضل إلى صاحب النداء الأول بالاتحاد والتعاون . .

٦ - شوقى

يتعرض للبلاط

قلنا إن شوقى كان على صلة طيبة بالخديوى توفيق ، الذى أوفده فى بعثة إلى فرنسا ، وبعد عودته منها عمل مترجمًا بالقصر الخديوى ، واستمر فى هذا العمل فى عهد الخديوى عباس الثانى . . ومما لا شك فيه أن حياة شوقى فى القصر قد أطلعته على كثير مما يدور فيه من مؤامرات ، وفتحت عينيه على أمور ومواقف عرض لها فى قصائده ، واستلهمها فى أشعاره عن الحيوان . . إن قصيدته « الليث والذئب فى السفينة » ترسم

صورة بديعة للملك ، الذى هو الليث فى القصيدة ، وفى سفينة نوح ، وقد تقرب إليه الذئب ، وأصبح صديقه الصدوق ، فوعده الليث بأن يجعله واليًا حين ترسو بهم السفينة إلى بر الأمان .. وعندما وصلوا الأرض ، ذهب الذئب إلى الليث يسأله أن ينجز وعده .. فماذا قال الملك ؟!

قال : تجرأْت وساء زعْمُكا — فمنْ تكُون يا فتَى وما اسْمُكا؟
أجابَهُ : إنْ كان ظنِّى صادقًا — فإننى والى الولاةِ سَابقًا !

وفى قصيدة « الأسد ووزيره الحمار » يرسم شوقى صورة أخرى للبلاط ، ولسوء اختيار الملوك لمعاونيهم ، فقد رأى الأسد أن يجعل الحمار وزيره ، وإذا بالمملكة تنهار ، ويتساءل الأسد عن السر ..

فجاءه القردُ سِراً — وقال بعدَ اعتِذَارِ
يا عالىَ الجاهِ فينا — كنْ عَالِى الأنْظَارِ
رأْى الرعيَّةِ فيكم — مِنْ رأيكُم فى الحِمَارِ !

وهناك حكاية لم ترد فى الجزء الرابع من الشوقيات ، لا فى باب (الحكايات) ولا فى (ديوان الأطفال) ، وجاءت هذه الحكاية فى الشوقيات المجهولة تحت عنوان (دولة السوء) ، وفيها تتجلى ليلةُ القدر لكلب وقرد وحما تتجول مع صاحب جوق ، فطلب القرد أن تكون المملكة له وحده

بغير شريك ، ودعا الحمار أن يكون هو الوزير والصدر فى الدولة والمشير، وسأل الكلب ربه أن يجعله قاضيًا . .

فراع رب الجوق ما قد سمعا   ثم جثا لربه وضرعا
وقال يا صاحبَ هذى الليلة   سألتك الموْتَ ولا ذى الدَّوْلة

وفى قصيدة « النعجة وأولادها » التى جعل مسرحها أرض بغداد وقال فيها إن الراعى نام وكذلك نعاجه ، فيما عدا واحدة ، هى نعجة أم ترعى طفلها الرضيع المريض ، وعندما جاء الذئب أيقظت النعجة صاحبها الذى طارد الذئب وطرده فازدهرت الأم بما فعلت ، وقالت :

إذا الرُّعاةُ على أغنامِها سهرت   سهرت من حب أطفالى على الراعى

وقد يدهش البعض لهذا الكم الكبير من الحكايات التى تدور حول الملوك والسلاطين ، وتجرى أحداثها فى القصور ، وربما أراد شاعرنا الذى امتدح الخديوى علانية أن يوازن الأمر بقصائده التى تنتقد فى عنف البلاط ورجاله ، والدسائس والمؤامرات التى تكثر فيه . .

يحكى شوقى فى قصيدة (الأسد والضفدع) أن السلطان جلس على عرشه ، وجىء بالضفدع الذى أزعجه فى نومه بالنقيق ، وأوعز المحيطون بالأسد إلى مولاهم أن يقتل الضفدع . .

فنهضَ الفيلُ وزيرِ العُلا   وقال : يا ذَا الشَّرفِ الأرْفَعِ
لا خيرَ فى المُلْكِ وفى عِزِّهِ   إنْ ضاقَ جَاهُ الليثِ بالضِّفْدَعِ

فَكَتَبَ الليثُ أمانًا لها وزاد أن جادِ بِمُسْتَنْقَعِ

وفى قصيدة « ولى عهد الأسد وخطبة الحمار » يروى الشاعر الكبير حكاية مولد ولى العهد ، ووفود الحيوانات للتهنئة ، وألقت الحيوانات كلماتها بهذه المناسبة ، ووقف الحمار ينهق بصوته المنكر ، وارتعد ولى العهد ، ومات . . فانتقمت الحيوانات منه وحملت عليه بأنيابها وأظافرها . .

وانتدَبَ الثعلبُ للتَّأبِينِ فقال فى التَّعريضِ بالمِسْكِينِ :
لا جعلَ اللهُ له قَرارا عاشَ حماراً ومَضَى حمارا !

وعندما نخر السوس فى قصر ملك الغربان - وكان ذلك القصر فوق نخلة - ، جاءه ندور الخادم لينبهه إلى خطورة الأمر ، إلا أن ملك الغربان قال : « أنا لا أنظر فى هذه الأمور » وبعد عام كان السوس قد أكل جذور النخلة التى قام فوقها القصر ، وهبت الريح فاقتلعت النخلة ودمرت القصر ، ففزع السلطان ملك الغربان للأمر واستدعى خادمه يقول:

يا نُدورَ الخَيْرِ أَسْعِفْ بالصِّياحْ ما تَرى ما فَعَلَتْ فينَا الرِّياحْ ؟
قال : يا مولايَ لا تَسْأَلْ نُدُور « أنَا لا أَنْظُرُ فِى هذِى الأُمُورْ »

الفكاهة عند شوقى

وقـد استطاع شـوقى أن يضـفى علـى حكاياته عن الحـيـوان روح الفكاهة، ويرى الأستـاذ العقاد أن « هذه الـفكاهات وأشباههـا هى الباب الوحيد الذى ظهـر فيه شوقى بملامحـه الشخصية ، لأنه أرسل نفســه فيه على سجيتـها ، وانطلق من حكم المظهر والصنعة والقوالب العـرفية التى تنطوى فيها ملامح الشخصية وراء المراسم والتقاليد ، وهنا يبرز من جميع دواوينه ورواياته ما جبل عليه من حب الحيلة والعمل الخفى ، والاستراحة إلى مقالب النكاية التى تنطوى على الدعاية » .

وبعد ....

مما لا شك فيـه أن شوقى رائد لأدب الأطفال العـربى : فقد اخـتار القصص ، واتجـه إلى قصص الحـيوان ، ونظمهـا شعراً ، وكـان مرحًا فكهًا، مما يجـعل هذه الأعمـال كلاسـيكيـات خالدة ، يمكن أن يقـرأها الأطفال جيـلاً بعد جيل . . وإذا كانت يد الإهمال قـد تناولتها ، إلا أن الاهتمام بهـا - بمناسبة مهرجـان شوقى وحافظ بمناسبـة مرور نصف قرن على رحيلهما - يمكن أن يكون بداية على الطـريق ، ومدخلاً طيبًا لإعادة أطفالنا إلى ساحة الشعر ، ليستـمعوا به وليصقلوا وجدانهم ، تمهيداً لأن يتعرفوا على شوقى أميراً للشعراء ، وحافظ إبراهيم ، والبارودى ، ولكى يطالعوا ديوان الشعر العربى من امرئ القيس إلى صلاح عبد الصبور . . وما من سـبيل إلى ذلك إلا بتدريبـهم على سمـاع الشعر ومطالعـته فى طفولتهم .

ديـــوان الأطفـال

١ - الهرة والنظافة

هِرَّتى جِدُّ أَليفَهْ ... وهْى للبيتِ حليفَهْ
هى ما لم تتحرَّكْ ... دُمْيةُ البيتِ الظريفه
فإذا جاءَتْ وراحتْ ... زِيدَ فى البيتِ وصِيفه
شغْلها الفارُ : تُنقِّى الرَّ ... فَّ منه واللَّقيفَهْ
وتقومُ الظُّهرَ والعصـ ... ـرَ بأورادٍ شريفه
ومن الأثوابِ لم تمـ ... ـلِكْ سوى فروٍ قطيفه
كلما استَوسَخَ ، أو آ ... وَى البراغيثَ المُطِيفه
غَسَلَتْه ، وكَوَتْه ... بأساليبَ لطيفه
وحَّدَتْ ما هو كالحمَّا ... م والماءِ وظيفه
صيَّرَتْ ريقَتَها الصَّا ... بونَ ، والشاربَ لِيفه

*

لا تَمُرَّنَّ على العين ... ولا بالأنفِ جيفه
وتعوَّدْ أن تُلاقَى ... حَلَنَ الثوبِ نظيفه
إنما الثوبُ على الإنـ ... ـسان عُنوانُ الصحيفة

٢ - الجدة

لـــى جَدَّةٌ تَرْأفُ بـــى	أحـنَى عـلــىَّ مِن أبــى
وكــلٌّ شىءٍ ســـرَّنــى	تذهـب فـيــه مَذهـبى
إن غـــضِبَ الأهلُ عـلىَّ	كـلُّهم لـم تَغـــضَب
مـــشى أبى يـومـــاً إلىَّ	مِشـــيــــةَ المؤدِّبِ
غَضــبـانَ قـد هَدَّدَ بالضـ	ـرْبِ ، وإن لـم يَضــرِبِ
فلم أجِد لـى منهُ غـيــرَ	جَدَّتـــى مـــن مَهَربِ
فـجــعَلتنى خلفَهـــا	أنجــو بهـــا ، وأخْتـبى
وهُىَ تـقـــولُ لأبـي	بِلهــجــــةِ المؤنِّبِ :
ويــحٌ لـهُ ! ويــحٌ لِهـــ	ــذا الولــدِ المُعَذَّبِ !
ألم تـكن تـصنعُ مـــا	يَصنعُ إذ أنت صــبى ؟

*

٣ - الوَطَن

عُصفورتانِ فى الحِجا — زِ حَلَّتا على فنَن
فى خامِلٍ من الرِّيا — ضِ ، لانَدٍ ، ولا حسَن
بيناهُما تَنتَجِيا — نِ سَحَراً على الغُصُن
مَرَّ على أيكهِما — ريحٌ سَرَى منَ اليَمَنْ
حَيَّا وقال : دُرَّتا — نِ فى وِعاءٍ مُمتَهَن !
لقد رأيتُ حَوْلَ صَنْـ — ـعاءَ ، وفى ظِلِّ عَدَن[1]
خمائلاً : كأنها — بقيَّةٌ من ذى يزَن[2]
الحَبُّ فيها سُكَّرٌ — والماءُ شُهْدٌ ولبن
لم يَرها الطَّيرُ ولم — يَسمعْ بها إلا افتتن
هيَّا اركبانى نأتِها — فى ساعة منَ الزمن

*

(١) صنعاء وعدن : من بلاد اليمن .

(٢) ذو يزن : من ألقاب ملوك اليمن فى التاريخ القديم .

قــالــتْ له إِحــداهــمـــا والـطَّيْرُ مِنـهنّ الـفـطِنْ :

يا ريحُ أنــتَ ابنُ السَّـبـــيـــل ، مـا عَرَفْتَ مـا السَّكن

هَبْ جنـةَ الخُلدِ اليـــمن لا شيءَ يَعـــدِلُ الوطن !

*

٤ - الرفق بالحيوان

الحيوانُ خَلْقٌ   لـه عـليك حَقّ
سَخَّرَه اللهُ لكـا   وللعباد قبلكا
حَمُولةُ الأثقال   ومُرضِعُ الأطفال
ومُطْعِمُ الجماعه   وخادمُ الزراعه
من حقه أن يُرْفَقا   به وألا يُرْهَقا
إن كَلَّ دَعْه يسترح   وداوه إذا جرح
ولا يَجُعْ فى داركا   أو يَظْمَ فى جِوارِكا
بهيمةٌ مِسكينُ   يشكو فلا يُبينُ
لسانُه مقطوعُ   * وما له دُموع !

*

٥ - الأم

لولا التُّقى لقلتُ : لم ... يَخلُقْ سواكِ الوَلَدا !

إنْ شئتَ كانَ العيرَ ، أو ... إنْ شئتَ كانَ الأسدا

وإنْ تُرِدْ غيًّا غوى ... أو تبغِ رُشْداً رشدا

والبيتُ أنتَ الصوتُ فيـ ... ـه ، وهو للصوتِ صَدَى

كالببَّغا في قفصٍ : ... قِيلَ لَه ، فقلّدا

وكالقضيبِ اللَّدْنِ : قَدْ ... طاوعَ في الشَّكلِ اليَدَا

يأخذُ ما عوَّدته ... والمرءُ ما تعوَّدا !

٦ - ولدُ الغُراب

ومُمَــهّدًا فــى الوكــرِ من	وَلَــدِ الــغــراب مُزَقّق
كُــتـلــرُوَيهِبٍ مُتَقَـلّسٍ	مُتَــأزّرٍ ، مُتَنَـطّقٍ[1]
لــبِسَ الرّمَــادَ علــى سَوا	دِ جَنَـاحِه والمَفــرقِ
كــالفَــحْمِ غــادرَ فى الرّمــا	دِ بقِيّةً لـم تُحــرَقِ
ثُلُثــاهُ منقــارٌ ورأ	سٌ ، والأظـافرُ مـا بقِىَ
ضــخمُ الدمـاغِ علـى الخُلُوّ	مِنَ الحِجَى والمَنــطقِ
مِنْ أمّه لـقـى الصــغـ	يــرُ مِـنَ البَليّةِ مـا لقِى
جَلَبَتْ عليـــه مـا تَذو	دُ الأمّهــات وتَتّقــى
فُتِنت بـه ، فَتَــوَهّمَتْ	فــيـــه قُوًى لم تـخلـق
قـالت : كـبِرْتَ ، فـثِب كـمـا	وثــب الــكــبارُ ، وحلِّق
ورَمَتْ بـه فى الجــوِّ ، لـم	تَحــرِصْ ، ولـم تَستَوثِقِ

(١) رويهب : راهب صغير ، والمتقلس ، والمتأزر ، والمتنطق : الذى يلبس القلنسوة ، والأزار ، والنطاق ، كالرهبان .

فَهَوى ، فمُزِّقَ فى فِنا ءِ الدارِ شرَّ مُمزَّقِ

وسَمِعتُ قاقاتٍ تردَّ دُ فى الفضاءِ وترتقى[1]

ورأيتُ غِرْباناً تفرَّ قُ فى السماءِ وتلتقى

وعرفتُ رنَّةَ أُمِّهِ فى الصارخاتِ النُّعَّقِ

فأشرتُ ، فالتفتتْ فقلـ ـتُ لها مقالةَ مُشفِقِ

أطلقتِهِ ولو استطعـ ـتِ جناحَه لم تُطلقى

وكِلانا ترفَّقَ والذا كِ عليكِ لم ترفَّقى !

---

(١) القاقات : نعيق الغربان .

٧ - النّيــــل

النِّيـلُ العَذْبُ هـو الكـوْثرْ　　والجنةُ شـاطئُه الأَخـضَرْ
ريَّانُ الـصَّفْحَةِ والمـنظَرِ　　ما أبهَى الخُلـدَ وما أنضَرَ !

*

البـحـرُ الفَيَّاضُ ، القُدْسُ　　السـاقى الناسَ وما غَرَسـوا
وهو المِنْوالُ لما لبِسـوا　　والمُنعِمْ بـالـقـطـنِ الأنـوَرَ

*

جـعلَ الإحـسـانَ له شَرْعَا　　لم يُخْلِ الوادىَ مـن مَرْعى
فـتَرَى زرعـاً يَتلو زرعـا　　وهُنـا يُجنـى ، وهُنـا يُبْذَر

*

جـارٍ ويُرَى ليـس بجـارِ　　لأناة فـيـه ووقـار
يَنصَبُّ كـتلٍّ مُنْهـارِ　　ويَضِجُّ فَتـحـسَبُه يَزأَر

*

حَبَشِيُّ اللَّوْنِ كـجيـرتِه　　مـن مَنبَعِه وبُحـيرَتِه
صـبَغَ الشَّطَّيْنِ بـسُمْرَتِه　　لوْناً كـالمسـكِ وكـالعَنبَر

٨ - المدرسة

أنا المدرَسةُ اجعلنى كأمٍّ ، لا تَمِلْ عنِّى
ولا تفزَعْ كمأخوذٍ من البيتِ إلى السِّجن
كأنى وجهُ صيَّادٍ وأنت الطيرُ فى الغصن
ولا بُدَّ لك اليومَ - وإلا فغداً - منِّى
أوِ استَغْنِ عن العقلِ إذنْ عنِّىَ تستغنى
أنا المِصْباحُ للفِكرِ أنا المِفتاحُ للذِّهْن
أنا البابُ إلى المجدِ تعالَ ادخلْ على اليُمْن
غداً تَرتَعُ فى حَوْشِى ولا تشبَعُ من صَحْنى
وألقاكَ بإخوانٍ يُدانونَكَ فى السِّنِّ
تُناديهمْ بيافكرى ويا شَوقى ، ويا حُسنى
وآباءٍ أحبُّوكَ وما أنت لهم بابن

*

٩ - نشيدُ مصر

بَنـى مِصـــــرٍ مكانُكـمُو تَهَيَّا　　فَهَيَّا مَهِـــــدُوا لـلـمُلكِ هـيَّا

خُذوا شـــمسَ النـهـــارِ له حُلِيًّا　　أَلـم تَكُ تـــاجَ أَوَّلِكـم مَلِيًّا ؟!

*

على الأخـلاق خُطُّوا المُلكَ وابنوا　　فـلـيـسَ وراءَهـــا لـلـعِزِّ رُكـن

أَلـيس لـكـم بِوادِي النِّيـل عَدْنُ　　وكوثـرُها الذى يَجرى شـهيّاً ؟!

*

لنا وطـنٌ بأَنفـــسِنا نَقـيـــه　　وبالدُّنيـــا العـريضـةِ نَفـتـديه

إِذا مـــا سِيلَتِ الأَرواحُ فـــيــه　　بَذَلناهــا كـــأَنْ لم نـعْطِ شـــيًّا

*

لنا الهـرَمُ الذى صـحِبَ الزمـانا　　ومن حَدَثـانِه أَخــــذ الأمــــانا

ونحنُ بنو السَّنـا العـالى ، نمانا　　أَوائلُ عَلَّمـــوا الأمَمَ الـرُّقِيـــا

*

تطاوَلَ عــهـدُهُمْ عِزا وفــخـراً　　فلـمـــا آلَ للـتـــاريخِ ذُخْر

نشأنا نشأةً في المجدِ أُخرى	جَعَلنا الحقَّ مَظْهرَها العَلِيّا

❂ ❂ ❂

جعلنا مِصرَ مِلَّةَ ذي الجَلالِ	وَألّفْنَا الصليبَ على الهِلالِ
وأقبَلنا كصفٍّ من عَوالِ	يُشدُّ السَّمْهَرِيُّ السَّمْهَرِيَّا

*

نرومُ لِمِصرَ عِزّاً لا يُرَامُ	يَرِفُّ على جوانبِه السَّلامُ
وينعَمُ فيه جِيرانٌ كِرامُ	فلن تَجِدَ النَّزِيلَ بنا شقِيَّا

*

نقومُ على البِنايةِ مُحسِنِينا	ونعهَدُ بالتَّمامِ إلى بنينا
إِليْكِ نَموتُ - مِصْرُ - كما حَيِينا	ويَبقى وجهُكِ المَفْدِيُّ حيَّا

*

١٠ - نشيدُ الكشافةِ

نحنُ الكَشّافةُ فى الوادى ... جَبريلُ الروحُ لنا حادِى
ياربِّ ، بعيسى ، والهادى ... وبموسى خُذْ بيَدِ الوطنِ

*

كشّافةُ مصرَ ، وصبيَّتُها ... ومناةُ الدارِ ، ومُنيتُها
وجمالُ الأرضِ ، وحليتُها ... وطلائعُ أفراحِ المدُنِ

*

نَبتدِرُ الخيرَ ، ونَستبقُ ... ما يَرضَى الخالقُ والخُلُقُ
بالنفسِ خالِقِها نثِقُ ... ونَزيدُ وُثوقاً فى المِحَنِ

*

فى السَّهلِ نَرِف رَياحِينا ... ونجوبُ الصَّخر شياطينا
نبْنى الأبدانَ وتبنينا ... والهِمَّةُ فى الجسمِ المَرِنِ

*

ونُخَلِّى الخلقَ وما اعتقدوا ... ولوَجهِ الخالقِ نجتهدُ

نأســوا الجــرحى أَى وُجــدُوا | ونُداوِى مِنْ جَرْحِ الـــــزَّمَن

*

فى الـصِّدْقِ نشـــأنــا والكَرَمِ | والـــعِفَّةِ عـــن مَسِّ الحُرَم
ورعـــــايةِ طـفـلٍ أو هَرِمِ | والـذوْدِ عن الـغيـــدِ الحُصُنِ

*

ونُوافـى الــصَّارِخَ فـى الـلُّجَجِ | والنـارِ الســاطعـــةِ الوَهَجِ
لا نـســـــألُهُ ثـمـنَ المُهَجِ | وكـــفـى بالـواجِبِ من ثـمنِ

*

يـاربِّ ، فكـثِّرْنـا عَـــدَدَا | وابـــذُلْ لأبـــوَّتِنـــا المَدَدا
هَيِّىءْ لـــهـــمُ ولـــنـــا رَشَدا | يـاربِّ ، وخُذ بِيَدِ الـــوطـــن

*

ثانياً: الحكايـــات

١١ - أنتَ وأنا

يــــحــــكــــونَ أنَّ رَجُلا كُرْدِيًّا
كـــان عظيمَ الجـــسمِ هَمــشَرِيًّا

وكـــان يُلقِى الرُّعْبَ فـى القلوبِ
بكَثْرةِ الــسِّلاحِ فى الجُيــــوبِ

ويُفْزِعُ اليَهـــودَ ، والــنَّصــارَى
ويُرْعِبُ الكِبـــارَ ، والــصِّغــارا

وكـــلمــــــــا مَرَّ هُناك وهُنـــا
يَصيحُ بالناسِ: أنا ؟ أنا ! أنا !

نَمَى حــــديثُه إلـى صــــبِىٍّ
صــغـيــرِ جِسمٍ ، بطلٍ ، قــوِىٍّ

لا يَعْرِفُ الــنـــاسُ لــه الــفُتُوَّة
وليس مِمَّنْ يَدَّعـــون القـــوَّهْ

فـقـــالَ للقـومِ : ســأُدْرِيكم به
فــتَعلمــــون صِدْقَه من كِذْبه

وســارَ نحــوَ الهَمْشَرِىِّ فى عَجَلْ
والناسُ مما ســيكـونُ فى وَجَلْ

ومَدَّ نحـــوَه يَمـــينًا قـــاسِيَهْ
بضــربةٍ كـــادَتْ تكونُ القــاضِيَهْ

فلم يُحَرِّكْ ســاكِنًا ، ولا ارتبَكْ
ولا انتَهى عن زَعْـمِه ، ولا تَرَكْ

بلْ قـــال للـغـالـب قـــوْلاً لَيِّنا
الآنَ صــرْنا اثـنـيْن : أَنتَ وأَنا

*

١٢ - نديمُ الباذِنجانِ

كان لسُلطانٍ نديمٌ وافِ   يُعيدُ ما قال بِلا اختلافِ

وقد يزيدُ فى الثَّنا عليه   إذا رأى شيئًا حَلا لديه

وكان مَولاهُ يَرى ، ويَعلمُ   ويسمعُ التَّمليقَ ، ولكنْ يكتُمُ

فجلسَا يوماً علي الخِوان   وجِيءَ فى الأكل بِباذنجانِ

فأكل السلطانُ منه ما أكلْ   وقال : هذا فى المذاق كالعسَلْ

قال النديمُ : صدقَ السلطانُ   لا يستوى شُهدٌ وباذِنجانُ

هذا الذى غَنى به «الرئيس»[1]   وقال فيه الشِّعْرَ «جالينوسُ»

يُذهِبُ ألفَ عِلَّةٍ وعِلَّةْ   ويُبردُ الصَّدْرَ ، ويَشْفى الغُلَّةْ

قال : ولكنْ عنده مراره   وما حَمدتُ مَرَّةً آثارَهْ

قال : نعم ، مُرٌّ ، وهذا عَيبُهُ   مُذْ كنتُ يا مولاى لا أحبُّهُ

هذا الذى مات به «بُقراطُ»   وسُمٌّ فى الكأسِ به «سُقراطُ»

فالتفتَ السلطان فيمنْ حولَهُ   وقال : كيف تجدون قولَهْ ؟

قال النديمُ : يا مَليكَ الناسِ   عُذرًا ؛ فما فى فعلتى من باسِ

جُعِلْتُ كى أنادِمَ السلطانا   ولم أنادمْ قَطُّ باذنجانا

---

(١) الرئيس : ابن سينا .

١٣ - ضيافة قِطة

لستُ بناسٍ ليلةً ... من رَمَضَانَ مَرَّتِ
تطاولتْ مثلَ ليا ... لى القطْب ، واكفهرَّتِ
إذَ انفلَتُّ من سُحو ... رى ، فدَخلتُ حُجرَتى
أنظُرُ فى ديوان شِعـ ... ـرٍ ، أو كتابِ سِيرةِ
فلم يَرُعْنى غير صوْ ... تٍ كمُواءِ الهِرَّة
فقمْتُ ألقى السَّمْعَ ... فى السُّتُورِ ، والأَسِرَّة
حتى ظفِرْتُ بالتى ... علىَّ قد تَجرَّت
فمُذ بدت لى ، والتقتْ ... نَظرَتُها ونظرتى
عاد رَمادُ لَحْظِها ... مثلَ بَصيصِ الجَمرَةَ
وردّدَتْ فحِيحَها ... كخَنَشٍ بقَفْرَةَ
ولبِسَتْ لى من ورا ... ءِ السترِ جِلدَ النمرةِ
كرَّتْ ، ولكن كالجَبا ... نِ قاعداً ، وفَرَّت
وانتفضتْ شواريا ... عن مثل بيتِ الإبرة

ورفعت كفًا ، وشا لتْ ذنًا كالمذرة
ثم ارتقَتْ عن المُوا ءِ ، فَعَوَتْ ، وهَرَّت
لم أجزِها بشرةٍ عن غضبٍ وشِرَّة
ولا غَبيتُ ضَعفَها ولا نَسِيتُ قُدْرَتِى
ولا رأيتُ غيرَ أُمٍّ بالبنينَ بَرَّة
رأيتُ ما يَعطِفُ نَفْسَ شاعرٍ من صورة
رأيتُ جِدَّ الأُمّهاتِ فى بناءِ الأسْرَة
فلم أزَلْ حتى اطمأنّ جأشُها ، وقَرَّت
أتيْتُها بشَربَةٍ وجئتُها بِكَسْرَة
وصُنتُها من جانبَىْ مَرْقَدِها بستُرتى
وزِدتُها الدِّفءَ ، فقرَّبْتُ لها مِجْمَرتى
ولو وجدت مِصيَداً لجئتُها بفأرَة
فاضطجعَتْ تحت ظِلا لِ الأمْنِ واسبَطرَّت
وقرأتْ أورادَها وما دَرَتْ ما قَرَت
وسَرَحَ الصِّغارُ فى ثُدِيِّها ، فدَرَّت
غُرٌّ نجومٍ سَبَّحٌ فى جَنَبَاتِ السُّرَّة
اختلطوا ، وعَيَّثوا كالعُمْى حَوْلَ سُفْرَة

تَحسَبُهم ضَفادِعاً أرسَلْتَها فى جَرّةِ
وقلتُ : لا بأسَ على طِفلِكِ يا جُوَيرَتى
تَمَخَّضى عن خمسةٍ إن شئتِ ، أو عن عَشْرَة
أنتِ وأولادُكِ حتَّى يكبروا فى خُفْرتى

*

١٤ - الصيّادُ والعُصفورة

حكـايةُ الصَّـيَّادِ والعُصـــوره ... صـارتْ لبعض الزاهدين صـوره

مـا هزَءُوا فـيـهـا بمسـتَحقٍّ ... ولا أرادوا أولـيـــاءَ الحـقّ

مـا كـلُّ أهلِ الزهـدِ أهلُ الله ... كـمْ لاعـبٍ فى الـزاهـدين لاه

جـعـلتُها شِعـراً لتَلْفتَ الفِطَنْ ... والشِّعـرُللحكمـةِ مُذْ كـان وطَن

وخَيْرُ مـــا يُنْظَمُ للأديـب ... مـــا نَطقَتْه ألسُنُ التَّجْريـب

*

ألـقَى غُلامٌ شرَكــا يَصطـادُ ... وكلُّ من فـوق الثَّرى صيَّادُ

فـانحدرتْ عُصـفـورةٌ من الشَّجَرْ ... لم يَنْهَها النُّهىُ ، ولا الحزْمُ زَجَر

قـالت : سَلامٌ أيُّهـا الغُلامُ ... قـال : على العُصـفـورةِ السـلامُ

قـالـت : صَبِىٌّ مُنْحَنِى القناةِ ؟! ... قـال : حَنَتْهـا كـثـرةُ الصـلاة

قـالت : أراك بادِىَ الـعِظامِ ! ... قـال : بَرَتْهـا كـثـرةُ الصيـام

قالت : فما يكونُ هذا الصوفُ ؟ ... قـال : لبـاسُ الزاهدِ الموصـوفُ

سَلِى إذا جَهِلْتِ عـارفـيـه ... فـابنُ عُبيـدٍ والفُضَيْلُ فـيـه

قالت: فما هذى العَصا الطويلهْ ؟ قـال : لِهـاتِيكِ الـعَصـا سَليله

أَهُشُّ فى المَرْعَى بهــا ، وأتّكى ولا أَرُدُّ النـاسَ عن تـبـــــرُّكِ

قـالت : أرى فـوق الـتـراب حَيًّا مما اشــتَهى الطيرُ ، ومــا أحبّا

قـال : تَشـبَهْتُ بأهـل الخـيـرِ وقلت أَقــرِى بـائسـاتِ الطَّيرِ

فــإنْ هَدَى الله إليـه جــائعــا لم يَكُ قـربانى القـليلُ ضـائعـا

قـالت : فجُدْلى يا أخـا التَنسُّكِ قــال : القُطيــه . بارَكَ اللهُ لكِ

فــصَلِيَتْ فى الفخِّ نار القــارى ومَصْرَعُ العـصـفــورِ فى المِنْقـار

وهتَفَتْ تـقـــول للأغـــرارِ مـقـــالةَ العـارفِ بـالأسـرار :

«إيـاكَ أن تَغـــــترَّ بالـزُّهَّادِ كم تَحتَ ثوبِ الزُّهدِ من صَيادِ!»

*

١٥ - البَلابلُ التى رباها البُوم

أُنبِئْتُ أنّ سُليمـانَ الزَّمان ومَنْ ... أصْبى الطُّيورَ، فناجَتْهُ ، وناجاها

أعطَى بَلابلَهُ يـومـاً - يُؤدِّبُهـا ... لِحـرمـةٍ عندَه للبُومِ يَرعـاها

واشـتَاقَ يومـاً مِنَ الأيامِ رُؤيَتَهـا ... فأقبلَتْ وهْيَ أعصَى الطَّيرِ أفواها

أَصابَها العِيُّ ، حتى لا اقتدَارَ لها ... بـأنْ تَبُثَّ نـبـيَّ اللهِ شكـواهـا

فنالَ سـيِّدَها من دائهـا غَضَبٌ ... وودَّ لـو أنـه بـالـذَّبـحِ داواهـا

فـجـاءَه الـهُدْهدُ المعْهُودُ مُعتَذراً ... عنهـا ، يقـولُ لِموْلاه ومـولاها

بلابِلُ اللهِ لم تخرَسْ ، ولا وُلِدَتْ ... خُرْساً ، ولكنَّ بُومَ الـشؤْمِ ربَّاها

*

١٦ - الدِّيكُ الهنديُّ والدَّجاجُ البَلَدى

بَيْنَا ضِعافٌ من دَجاجِ الرِّيفِ ... تَخطِرُ فِى بيتٍ لها طريفِ

إذا جاءَها هِنْدِى كبيرُ العُرْفِ ... فقام فى البابِ قيامَ الضَّيْفِ

يقولُ : حيَّا اللهُ ذى الوُجُوها ... ولا أراها أبداً مكروُها

أَتيتُكم أنشُرُ فيكم فضلى ... يوماً ، وأقضى بينكم بالعدْلِ

وكلُّ ما عِندَكُمُ حرامُ ... علىّ ، إلا الماءُ ، والمنامُ

فعاودَ الدَّجاجَ داءُ الطَّيْشِ ... وفتحت لِلعلجِ بابَ العُشِّ

فجالَ فيه جولَةَ المَليكِ ... يدعو لِكلِّ فرْخةٍ وديكِ

وباتَ تلكَ الليلةَ السَّعيدَهْ ... مُمتَّعاً بدارِهِ الجديدَهْ

وباتتِ الدَّجاجُ فى أمانِ ... تحلمُ بالذِّلَةِ والهوانِ

حتى إذا تهلَّلَ الصباحُ ... واقتبَست من نورِهِ الأشباحُ

صاحَ بها صاحبُها الفصيح ... يقولُ : دامَ منزلى المَليحُ !

فانتبَهتْ من نَومِها المَشئومِ ... مذعورةً من صيحةِ الغشومِ

تقـولُ : مـا تِلكَ الشـروطَ بيننا		غَدَرْتنـا واللهِ غـــــدراً بيِّنـا !

فـضَحِكَ الهِنْدِىُّ حـتى استلقى		وقَال: ما هذا العَمَى ياحَمْقى ؟!

مـــتى مـلكـتُمْ أَلْسُنَ الأَربابِ		قـد كان هذا قـبلَ فتحِ البـابِ !

*

١٧ - العُصفورُ والغَديرُ المَهجُورُ

أَلَمَّ عُصفـورٌ بمجـرًى صـافِ ... قد غاب تحتَ الغـابِ فى الألفاف

يَسقى الثَّرَى من حيثُ لا يدرِى الثرى ... خشيَةَ أن يُسمَعَ عنه ، أو يُرَى

فاغـتَرَفَ العصفورُ من إحسانه ... وحَرَّكَ الصَّنيعُ من لِسـانه

فـقـالَ : يـا نورَ عُيونِ الأرضِ ... ومُخجِلَ الكوثرِ يومَ العَرْضِ

هل لكَ فـى أن أَرْشِدَ الإنسانا ... لِيَعْرِفَ المكانَ والإمكانا ؟

فـينظُرَ الخيْرَ الذى نظرْتُ ... ويشكرَ الفضلَ كما شكرْتُ

لعلَّ أن تُشهَرَ بالجميل ... وتُنسِيَ الناسَ حديثَ النِّيل ؟

فـالتفَتَ الغديرُ للعُصفور ... وقـال يُهدِى مُهجَةَ المَغْرُورِ

يأيُّها الشاكرُ دونَ العالَمِ ... أَمِنْكَ اللهُ يدَ ابنِ آدمِ

النِّيلُ - فاسمعْ ، وافهَمِ الحديثا - ... يُعطِى ، ولكنْ يأخُذُ الخبيثا

من طُولِ ما أبصرَهُ الناسُ نُسِى ... وصار كلُّ الذِّكرِ للمهندِسِ

وهكذا العَهدُ بودِّ الناسى ... وقيمةُ المحسنِ عندَ الناس

وقد عَرفتَ حالتى ، وضِدَّها ... فقلْ لِمَنْ يسألُ عنِّى بَعدَها

إنْ خفِىَ النافعُ فالنفعُ ظَهَرْ ... ياسَعْدَ مَنْ صافَى، وصُوفِى، واستَتَر!

١٨ - الأفعى النيلية والعقربة الهندية

وهذه واقــعــةٌ مُسْتـغـربَهْ | في هَوَسِ الأفعَى وخُبثِ العَقرَبَهْ
رأيتُ أفــعَى من بناتِ النِّيلِ | مُعجَبَةً بِقدِّها الجميلِ
تحتقِرُ النصْحَ ، وتجفو النَّاصِحا | وتَدَّعى العقلَ الكبيرَ الرَّاجِحا
عنَّتْ لها ربيبَةَ السِّباخِ | تحملُ وَزْنَيْها منَ الأوساخ
فحسِبَتْها - والحِسابُ يُجدي - | ساحرةً من ساحراتِ الهِندِ
فانخَرطتْ مثلَ الحُسامِ الوالجِ | واندفعت تلكَ كسهْمٍ زالج
حتى إذا ما أبلَغَتْها جُحْدَها | دارتْ على كالسِّوارِ دَوْرَها
تقولُ : يا أمَّ العَمَى والطَّيْشِ | أينَ الفِرارُ يا عدوَّ العَيْش ؟
إن تلجى فالموتُ فى الولُوج | أو تخرُجى فالهُلكُ فى الخُروجِ
فسكتَتْ طريدةُ البيُوتِ | واغترَّتِ الأفعى بذا السكوت
وهجَعَتْ على الطريقِ هجْعَهْ | فخرجَتْ ضرَّتُهَا بسُرعَهْ
ونَهضتْ فى ذِرْوَةِ الدماغِ | واسترْسَلتْ فى مُؤلِمِ التَّلْداغِ
فانتبهَت كالحالم المذعور | تصيحُ بالويل ، وبالثُّبور

حتى وهَت من الفتاة القوهْ فنزلت عن رأسها العدُوّهْ

تقول : صبراً للبَلاءِ ، صبرا وإنْ وجَدْتِ قسْوَةً فعُذْرا

فرأسُك الداءُ ، وذا الدواءُ وهكذا فلتُرْكبهُ الأعداءُ

منْ مَلَكَ الخَصْمَ ونامَ عنه يُصْبحُ يَلقَى ما لقيت منه

لولا الذى أبصرَ أهلُ التَّجْرِبَهْ منّى لَمَا سمُّوا الخبيثَ عقرَبَهْ

*

١٩ - السَّلُوقِيُّ والجَوَادُ

قَـــال السَّلُوقِى مـــرَّةً لــلجَوادْ ... وهْوَ إلى الـصَّيْدِ مَسُوقُ القِيـــادْ
باللهِ قـلْ لِى يا رفــــيقَ الهـنا ... فـأنتَ تدْرى لى الوفـا فى الوِداد
ألستَ أهلَ البــيــدِ ، أهلَ الفَلا ... أهلَ السُّرى والسَّيرِ، أهلَ الجِهاد؟
ألمْ تكـنْ ربَّ الصــفــاتِ التى ... هامَ بهــا الـشـاعِرُ فى كلِّ واد ؟
قــال : بلى ، كل الذى قلْتَــه ... أنا به المشـــهــورُ بين العــبــاد
قــال : فــمــا بالُكَ يا صــاحِبى ... إذا دعــا الصَّيــدُ ، وجَدَّ الطِّراد
تشكو ، فـتُشكيكَ عصــا سيِّدى ... إنَّ العــصــا مــا خُلِقَتْ للجـوَاد
وتَنـثـنـى فى عَرَقٍ ســــائِلٍ ... مُنكَّسَ الرأسِ ، ضـئـيلَ الفُؤاد
وذا الـسَّلوقــى أبدًا صــــابِرٌ ... ينقــادُ للمــالكِ أىَّ انقــيـاد ؟
فـقال : مــهــلا يا كبيــرَ النُّهى ... مــا هكذا أنظـارُ أهل الرَّشـــاد
السـرُّ فى الـطَّيرِ وفى الوحشِ لا ... فى عَظْمِ ســيــقـانِكَ ياذا السَّدادِ
ما الرِّجْلُ إلا حيــثُ كان الهوى ... إنَّ الـبُطُونَ قـــــادراتٌ شِداد
أمَا تَرى الطَّير عــلى ضَعْفِهـــا ... تَطوى إلى الحَبِّ مثـات البلاد ؟

٢٠ - فأرُ الغيط وفأرُ البيت

يُقالُ : كانتْ فأرَةُ الغيطانِ تَتيهُ بابنيْها على الفِيرانِ !

قد سَمَّتِ الأكبرَ نُورَ الغَيْطِ وعَلَّمَتْه المشْىَ فوقَ الخيْطِ

فعَرَفَ الغِياضَ والمُرُوجا وأتقَنَ الدُّخولَ والخُروجا

وصارَ فى الحِرْفةِ كالآباءِ وعاش كالفلاحِ فى هناءِ

وأتعَبَ الصَّغيرُ قلْبَ الأُمِّ بالكِبْرِ ، فاحتارَتْ بما تُسَمِّى

فقال سمِّينى بنورِ القصْرِ لأننى - يا أُمُّ - فأْرُ العصْرِ

إنى أرى ما لم يرَ الشَّقيقُ فلِى طريقٌ ، وله طريق

لأدْخُلَنَّ الدارَ بعدَ الدارِ وثْبًا منَ الرَّف إلى الكرارْ

لعلَّى إن ثَبَّتَتْ أقدامى ونلتُ - يا كلَّ المنى - مَرامى

آتيكما بما أرى فى البيت من عسلٍ ، أو جُبُنَةٍ ، أو زيتِ

فعطَفَتْ على الصغيرِ أُمُّهْ وأقبلَتْ من وَجْدها تضُمُّهْ

تقولُ : إنى - يا قتيل القوتِ - أخشى عليكَ ظُلمةَ البُيوتِ

كان أبوكَ قد رأى الفلاحا فى أن تكون مِثلَه فلاَّحا

فـاعـملْ بِمـا أَوصى تُرِحْ جَنانِى — أولا ، فـسِرْ فى ذِمّةِ الرحـمنِ
فاسـتضحكَ الـفأرُ ، وهزَّ الكتفَا — وقـال : من قـال بِذا قـد خَرِفـا
ثم مـضـى لِمـا عليـه صَمَّمـا — وعـاهـدَ الأُمَّ على أَن تكـتُمـا
فكـان يأتى كـل يومٍ جُمْعـه — وجُبْنةٌ فى فـمِه ، أو شـمـعَهْ
حتى مَضى الشهرُ ، وجاءَ الشهرُ — وعُرِفَ اللِّصُّ ، وشـاعَ الأمـر
فـجـاءَ يومـاً أُمَّه مُضْطَرِباً — فـسأَلتـه : أَيـنَ خلَّى الذَّنَبـا ؟
فقـال : ليسَ بالفقـيدِ من عَجبْ — فى الشهدِ قد غاصَ، وفى الشهد ذَهَب
وجـاءَهـا ثانيـةً فى خَجَلِ — منهـا يُدارى فقْد إِحـدى الأَرجُل
فـقـال : رفٌّ لم أصِبْهُ عـالى — صـيَّرَنى أَعـرج فى المعـالى
وكـانَ فى الـثـالثـةِ ابـنُ الفـارَهْ — قـد أَخلفَ العـادةَ فـى الزيارهْ
فاشـتغَلَ القلبُ عليه ، واشـتعلْ — وسـارت الأُمُّ له عـلى عَجَل
فـصـادَفتـه فى الـطريقِ مُلْقَى — قـد سُحِقَت منه العِظامُ سَحْقَـا
فناحتِ الأُم، وصاحتْ : واهًا ! — إِن المعـالى قَتـلت فـتـاها !

*

٢١ - ملكُ الغِربانِ ونَدُور الخادِم

كـانَ للغربانِ فـى العصـرِ مَليكْ ... وله فى الـنخلة الكبـرى أَريكْ

فـيه كـرسىٌّ ، وخِدرٌ ، ومُهـودْ ... لصِـغارِ المُلك أَصحابِ العُهـود

جـاءَهُ يومـاً نَدورُ الخـادمُ ... وهْوَ فى البـابِ الأَمينُ الحـازمُ

قـال : يا فرْعَ الملوكِ الصـالحينْ ... أَنت مـازلْتَ تُحبُّ الناصحينْ

سُوسـةٌ كانت علـى القصـرِ تدورْ ... جازتْ القصرَ، ودبَّتْ فى الجُذورْ

فـابعَث الغربانَ فى إهلاكهـا ... قـبلَ أَن نَهلكَ فى أَشْراكهـا

ضَحكَ السُّلطانُ مـن هذا المَقـال ... ثم أَدنَى خـادمَ الخيـرِ ، وقال :

أَنا ربُّ الشَّوْكَةِ الضـافى الجَناح ... أَنا ذو المنقـارِ ، غَلاَّبُ الرياح

«أَنا لا أَنظـرُ فى هذِى الأُمـور» ... أَنا لا أبصـر تحـتى يانَدور !

ثم لمَّا كـان عـامٌ بعـدَ عـامْ ... قـام بينَ الريحِ والـنخلِ خِصـامْ

وإذا النـخلةُ أَقـوى جذعُهـا ... فـبـدا للرِّيحِ سـهلًا قلعُهـا

فَهوَتْ للأَرضِ كـالتَّلِّ الكبيـر ... وَهَوَى الديوانُ ، وانقـضَّ السَّرير

فـدَها السُّلطانَ ذا الخَطْبُ المَهـول ... ودعـا خـادمَهُ الغـالى يقـول :

يانُدورَ الخير ، أَسـعفْ بالصياح ... ما تَرى مـا فعلَتْ فـينا الرياح ؟

قال : يا مولاىَ ، لا تَسأَلْ نُدور ... «أَنا لا أَنظرُ فى هذِى الأُمـور» !

٢٢ - الظبىُ والعقدُ والخنزير

ظبىٌ رأى صــــورتَهُ فـى الماءِ ... فـرفع الرأسَ إلـى السـمـاءِ

وقـال يا خـالقَ هـذا الجيـدِ ... زِنْهُ بعقـدِ اللؤلؤ النَّضيـدِ

فسـمعَ الماءَ يقـولُ مُفـصـحًا ... طلبْتَ يا ذا الظَّبْىُ مـالن تُمنَحـا

إنّ الذى أعـطاكَ هذا الجيـدا ... لم يُبـق فى الحـسنِ لـه مَزيدا

لو أن حُسنَهُ علـى النُّحـورِ ... لم يخـرج الدُّر من البُحـور

فـافـتـتَن الظبىُ بذِى المقـالِ ... وزادهُ شـوقـاً إلى اللآلى

ولم يَنلهُ فـمُهُ السـقـيمُ ... فـعـاش دهرًا فى الفَلا يَهـيم

حـتى تَقـضَّى العمـرُ فى الهُيـامِ ... وهجْرِ طِيـبِ النَّومِ والطـعـام

فـسـارَ نحـوَ الماءِ ذاتَ مـرةْ ... يَشكو إليـه نفـعَهُ وضـرَّه

وبينمـا الجـارانِ فى الكلام ... أقـبلَ راعـى الدَّيرِ فى الظلام

يتـبَعُه حـيثُ مـشى خنزيرُ ... فى جيـدِهِ قلادةٌ تُنـيـر

فـانـدَفَع الظـبْىُ لذاكَ يَبـكى ... وقـال من بعـدِ الجـلاءِ الشَّك

مـا آفـةُ السعيِ سـوَى الضـلالِ ... مـا آفـةُ العـمـرِ سـوى الآمـال

لولا قـــضـــاءُ الملكِ القـــدير   لما ســعى العِقــدُ إلـى الخِنزير

فــالـتــفتَ الماءُ إلى الـغـــزال   وقـال : حالُ الشـيخِ شرٌّ حـال

لا عَجَبٌ ؛ إن الـسنـينَ مُوقِظـهْ   حفِظْتَ عُمـراً لو حَفِظْتَ موْعِظَهْ

*

٢٣ - وَلِيُّ عَهْدِ الليث وَخُطْبَةُ الحمار

لَمَّا دَعَا داعِي أَبِي الأَشْبَالِ … مُبَشِّرًا بأَوّلِ الأَنْجَالِ

سَعَتْ سِباعُ الأَرْضِ والسماءِ … وانعقَدَ المجلسُ للهَنَاءِ

وصَدَرَ المرسومُ بالأَمانِ … فى الأَرْضِ للقاصى بها والدَّانى

فضاقَ بالذُيُولِ صحنُ الدار … من كلِّ ذى صُوفٍ وذى مِنقارِ

حتى إِذا استكملَتِ الجمعيَّهْ … نادى منادى اللَّيْثِ فى المَعِيَّهْ

هل من خطيبٍ محسنٍ خبيرِ … يدعو بطول العمرِ للأَمير ؟

فنَهضَ الفيلُ المشيرُ السامى … وقالَ ما يليقُ بالمقامِ

ثم تلاه الثَّعْلَبُ السفيرُ … يُنشِدُ ، حتى قيلَ : ذا جرير

واندفعَ القردُ مديرُ الكاسِ … فقيلَ : أَحسنتَ أَبا نُواسِ !

وأَوْمَأَ الحِمارُ بالعقيرَهْ … يريدُ أَن يُشرِّفَ العشيرَه

فقالَ : باسمِ خالقِ الشعيرِ … وباعثِ العصا إِلى الحمير ! ..

فأَزعجَ الصَّوتُ وَلِيَّ العهدِ … فماتَ من رِعْدَتِه فى المَهدِ

فحمَلَ القومُ على الحِمارِ … بجُملةِ الأَنيابِ والأَظفارِ

وانتَدبَ الثَّعلبُ للتأْبينِ … فقال فى التعريضِ بالمسكين :

لا جعَلَ اللهُ له قراراً … عاشَ حِماراً ومضى حمارا !

٢٤ - الأسدُ والثعلبُ والعِجل

نظرَ اللَّيْثُ إلى عجلٍ سمينْ كان بالقربِ على غيْطٍ أمينْ

فاشتَهتْ من لحمه نفسُ الرئيس وكذا الأنفسُ يُصْبيها النفيس

قال للثعلبِ : يا ذا الاحتيال رأسُكَ المحبوبُ. أو ذاك الغزال!

فدعا بالسَّعدِ والعُمرِ الطويل ومضى فى الحالِ للأَمْرِ الجليل

وأتى الغَيْطَ وقد جَنَّ الظلام فرأى العجلَ فأهداهُ السلام

قائلا : يأيُّها المولْى الوزيرْ أنت أهلُ العفوِ والبِرِّ الغزير

حَملَ الذِّئبَ على قتلى الحَسَد فوشَى بى عندَ مَولانا الأسد

فترامَيْتُ على الجاهِ الرفيع وهْوَ فينا لم يزَلْ نِعمَ الشَّفيع !

فبكى المغرورُ من حالِ الخبيث ودنا يسألُ عن شرحِ الحديث

قال: هل تَجهلُ يا حُلْوَ الصِّفات أنّ مولانا أبا الأفيالِ مات ؟

فرأى السُّلطانُ فى الرأس الكبير موطنَ الحكمةِ والحِذقِ الكثير

ورآكم خيْرَ مَن يُستَوْزَرُ ولأمْرِ المُلكِ ركنًا يُذخر

ولقد عدُّوا لكم بين الجُدود مثل آبِيسَ ومَعبودِ اليهود

فــأقــامــوا لمعــاليـكم سرير | عن يمين الملكِ الـسـامى الخطيـر
واسـتَعـدَّ الطيـرُ والوحشُ لذاكِ | فى انتظـار السَّيـدِ العــالى هناك
فــإذا قـتـمْ بأعــبـاءِ الأمــورْ | وانتَهى الأنـسُ إليكم والسـرورْ
برِّئُونــى عندَ سُلطـانِ الزمـــان | واطلبـوا لى الـعَفْوَ منه والأمـان
وكـفــاكم أننى العـبـدُ المُطيع | أخـدُمُ المُنعِمَ جـهـدَ المسـتطيع
فـأحَدَّ العِجلُ قـرنَيْه ، وقـال : | أنت مُنذُ اليومِ جارى، لا تُنال !
فامْضِ واكشِفْ لى إلى الليثِ الطريق | أنا لا يَشْقـى لديَهِ بـى رَفــيق
فــــمَضـى الخِلاّنِ تَوّاً للـفَلاه | ذا إلى المـوتِ ، وهذا للحَيَــاه
وهُنـاكَ ابتَلـعَ الـليثُ الـوزيـر | وحـبَا الشـعلبَ منه باليَسـيـر
فانثنى يضحكُ من طيشِ العُجولْ | وجَرى فى حَلْبَةِ الفَخْرِ يقــولُ :
سلِمَ الثـعلبُ بالرأسِ الصـغيـر | فـفَداه كلُّ ذى رأسٍ كـبـيـر !

*

٢٥ - القردُ والفيلُ

قِردٌ رأى الفيلَ على الطَّريقِ مُهرولاً خَوفاً من التَّعْويقِ
وكان ذاك القِردُ نصفَ أَعمى يُريد يُحْصِي كلَّ شيءٍ علما
فقال : أهلا بأبي الأهوالِ ومرحبا بِمُخْجِلِ الجبالِ
تَفدِي الرُّؤوسُ رأسَكَ العظيما فقف أشاهدْ حُسنَك الوَسيما
لله ما أظرفَ هذا القَدَّا وألطَف العَظْمَ وأبهى الجلدا !
وأملَح الأذْنَ في الاسترسالِ كأنها دائرةُ الغِربالِ !
وأحسَنَ الخُرطومَ حين تاها كأنه النخلةُ في صِباها !
وظَهرُك العالي هو البِساطُ للنفْسِ في رُكوبِه انبِساطٌ
فعدَّها الفيلُ من السُّعودِ وأمَرَ الشاعِرَ بالصُّعودِ
فجالَ في الظَّهْرِ بلا تَوَانِ حتى إذا لم يَبقَ من مكان
أَوفى على الشيءِ الذي لا يُذكرُ وأدخَلَ الأصبُعَ فيه يَخبُرُ
فاتهَم الفيلُ البَعوضَ ، واضطَربْ وضيَّقَ الثَّقْبَ ، وصالَ بالذَّنَبْ
فوقَعَ الضربُ على السليمه فلحِقَتْ بأُختِها الكريمه

ونزل البصيرُ [1] ذا اكتِئابِ ... يشكو إلى الفيلِ من المُصابِ

فقال : لا مُوجِب للندامه ... الحمد لله على السلامه

من كان فى عينيْه هذا الداءُ ... ففي العَمى لنفسِه وقاءُ

*

(١) البصير : الأعمى .

٢٦ - الشَّاةُ والغُرابُ

مَرَّ الغُرابُ بشـــاةٍ ... قــد غـابَ عنـهـا الفـطيمُ

تقـــولُ والدمــعُ جـــارٍ ... والقـلبُ منـهـا كـليم :

يـالـيْت شِعْرىَ يـا ابـنِى ... ووَاحِدِى ، هــل تَدُوم ؟

وهـل تـكـونُ بـجَنْبـى ... غـداً على مـا أرُوم ؟

فـقـال : يـا أمَّ سـعـدٍ ... هـذا عــذابٌ ألـيم

فكَّرتِ فـى الغَدِ . والفكـــرُ مُقــعدٌ ومُقــيم

لــكــلِّ يــومٍ خُطُوبٌ ... تـكـفى ، وشُغْـلٌ عـظيـم

وبيـنمـا هُوَ يهــذى ... أتـى الـنَّعِىُّ الـذَّمِيـم

يقـول : خَلَّفْتُ سـعْداً ... والـعَظْمُ مـنه هَشـيـم

رأى منَ الذِّئْبِ مـا قـد ... رأى أبــوه الـكـريم

فــقـال ذو الـبَيْنِ للأُم حين ولَّتْ تَهـيـم :

إنِ الحـكيـمَ نـبـىٌّ ... لسـانُه مـعـصـوم

ألـم أقـلْ لـكِ تـوا ... لـكل يـومٍ هُمـوم ؟

قـالت : صـدقتَ ، ولكنْ ... هـذا الكـلامُ قـديم

فـإن قَوْمىَ قـالوا : ... وجْهُ الـغُراب مَشـوم

٢٧ - أمةُ الأرانب والفيلُ

يَحـــكـــون أن أمَّةَ الأرانبِ قـد أخَذَت من الثرَى بِجانبِ

وابتَهــجَت بـالوطنِ الـكريمِ ومَوْئلِ العِيـــالِ والحـــريمِ

فـاختـــارَه الفـيـلُ له طريقًا مُمــزِّقًا أصـحــابَنا تمزيقــا

وكـان فـيـهم أرنبٌ لبـيبُ أذهَبَ جُلَّ صُوفِه التَّجــريب

نادي بهم : يا مَعشرَ الأرانبِ من عالِمٍ ، وشاعرٍ ؛ وكاتب

اتَّحِدوا ضِدَّ العَدُوِّ الجـــافى فـالاتحـادُ قـوَّةُ الضِّعــاف

فـأَقـبَلـوا مُسـتَصْوِبين رايَهْ وعـقـدوا للاجتـمـاعِ رايه

وانتـخـبـوا من بينِهم ثلاثه لا هَرَمــاً راعَوْا ، ولا حَداثه

بل نظروا إلى كـمـالِ العقلِ واعـتَبروا فى ذاك سِنَّ الفضْل

فنـهـض الأوّلُ لـلـخطـاب فقال : إنّ الرأىَ ذا الصواب

أن تُتـرَكَ الأرضُ لذى الخُرطومِ كى نستريحَ من أذى الغشوم

فـصاحَت الأرانبُ الغـوالى : هـذا أضرُّ مـن أبـى الأهـوال

ووثبَ الثـانى فـقـال : إنى أعـهَدُ فى الثـعلبِ شيخَ الفنِّ

فلندعُه يُمِدُّنا بحكمتهْ ... ويأخذ اثنينِ جزاءَ خدمته

فقيل : لا يا صاحبَ السُّمُوِّ ... لا يُدفعُ العدوُّ بالعدوِّ

وانتَدَبَ الثالثُ للكلامِ ... فقال : يا معاشرَ الأقوامِ

اجتمِعوا ؛ فالاجتماع قوّةْ ... ثم احفِروا على الطريق هُوَّهْ

يهوى إليها الفيلُ فى مرورِه ... فنستَريحُ الدهرَ من شرورِه

ثم يقولُ الجيلُ بعدَ الجيلِ ... قد أكلَ الأرنبُ عقلَ الفيل

فاستَصْوَبوا مقالَهُ ، واستَحْسَنوا ... وعملوا من فَوْرِهم ، فأحسَنوا

وهاكَ الفيلُ الرفيعُ الشأنِ ... فأمستِ الأُمَّةُ فى أمانِ

وأقبلَتْ لِصاحِبِ التدبيرِ ... ساعيَةً بالتاجِ والسريرِ

فقال : مهلا يا بَنى الأوطانِ ... إنّ محلّى لَلمَحَلُّ الثانى

فصاحبُ الصوتِ القوىِّ الغالبِ ... مَنْ قد دعا : يا مَعشرَ الأرانبِ

*

٢٨ - حكاية الخفاش ومليكة الفراش

مــرَّتْ على الخُفَّــاشِ مــلـيـكــةُ الــفَراشِ
تطـيــرُ بـالجــمــوعِ سـعــيًا إلى الشـمـوعِ
فــعـطَفتْ ومــالت واستـضحكَتْ فـقالت :
أزْرَيْتَ بـالغـــرامِ يـا عـــاشـق الظـلامِ
صِفْ لى الصديقَ الأسْودَا الخـــامـلَ المُجَرَّدَا [1]
قـــال : سـألـتِ فيــه أصَدقَ واصِفــيــهِ
هو الـصـــديقُ الـوافى الـكامـلُ الأوصـــافِ
جِوارُهُ أمـــــانُ وســرُّه كــتـمـــانُ
وطـــرفُه كــلـيــلُ إذا هـفـــا الخـليـلُ
يحـنو علـى العــشَّاق يَســمعُ لِلمــشـتــاق
وجُمـلـةُ المقــــالِ هو الحــبيبُ الغـــالى

*

(١) تعنى الليل : والخفاش لا يأنس إلا بالظلام .

فَقالتِ الحمقاءُ وقولُها استِهزاءُ
أينَ أبو المِسْكِ الخَصِي ذو الثَّمَنِ المُسْتَرخَصِ[1]
مِنْ صاحِبي الأميرِ الظاهِرِ المنيرِ ؟[2]
إنْ عُدَّ فيمن أعرِفُ أسمُو بِه وأشرُفُ
وإنْ سُئِلتُ عنهُ وعن مكاني منهُ
أفاخِرُ الأترابا وأنثني إعجابَا

*

فقال : يا مَليكهْ وربَّةَ الأريكهْ
إنَّ مِنَ الغُرورِ مَلامَةَ المغرورِ
فأعطِني قفاكِ وامضي إلى الهلاكِ

*

فتركَتْهُ ساخِرَهْ وذهَبتْ مُفاخِرهْ
وبعدَ ساعةٍ مضَتْ من الزمانِ فانقضَتْ
مَرَّتْ على الخُفَّاشِ مَليكةُ الفَراشِ
ناقصةَ الأعضاءِ تشكو من الفَناءِ

---

(١) أبو المسك الخصي : كافور الأخشيد وكان عبدا أسود .

(٢) تعني الضوء .

فـــجـــاءَها مُنـهَمِكا يُضــحِكـه منهـــا البُكا

قـــال : ألم أقـل لكِ هَلـكْتِ أَو لـم تَهـلِكـى

رُبَّ صــديقٍ عـبـدِ أَبـيَضُ وجـــهِ الـوُدّ

يَفــديك كـــالرَّئيسِ بالـنَّفْسِ والنـفـــيسِ

وصـــاحِبٍ كـــالنُّورِ فى الحُسْنِ والـظهـــورِ

مُعْتكِرِ الـفــــؤادِ مُضَيَّعِ الــــــودادِ

حِبـــالُه أشـــراكُ وقُرْبُه هــــــلاكُ ؟

*

٢٩ - الليث ووزيرهُ الحمارُ

اللَّيثُ مَلْكُ القِفارِ … وما تَضمُّ الصَّحارى

سَعت إليه الرعايا … يوماً بكلِّ انكسار

قالت : تعيشُ وتبقَى … يا دامىَ الأظفار

ماتَ الوزيرُ فَمَنْ ذَا … يَسوسُ أمرَ الضَّوارى ؟

قال : الحمارُ وزيرى … قَضى بهذا اختِيارى

فاستَضحكت، ثم قالت: … «ماذا رأى في الحِمارِ ؟»

وخلَّفتْهُ ، وطارت … بِمُضحِكِ الأخيارِ

حتى إذا الشَّهْرُ ولَّى … كليْلَةٍ أو نَهارِ

لم يَشعُرِ اللَّيثُ إلا … ومُلكُهُ في دَمارِ

القردُ عندَ اليمين … والكلبُ عند اليَسارِ

والقِطُّ بين يديه … يَلهو بِعظمَةِ فارِ !

فقالَ : مَن في جُدودي … مثلي عديمُ الوقار ؟!

أينَ اقتِداري وبَطشي … وهَيْبتي واعتباري ؟!

فـجـاءَهُ الـقـردُ سـراً   وقـال بـعـدَ اعـتـذار :

يا عـالىَ الجـاه فـينا   كن عـالـىَ الأنظـار

رأىُ الـرعِيَّةِ فـيكـم   من رأيكم فى الحـمـار !

*

٣٠ - النملة والمقطم

كـــانتِ النـملةُ تمـشى ... مـــــرةً تحتَ المُقـطَّمْ

فــارتخى مَفـصِلُهــا من ... هَيــــبــةِ الطَّوْدِ المـعظَّمْ

وانثـنتْ تنـظُر حـــتى ... أوجَدَ الخـــوْفُ وأعـــدَم

قــالتِ : اليـــومَ هلاكى ... حلَّ يـومى وتحـــتم !

ليتِ شعرى : كيف أنجو ... -إنْ هوى هذا- وأسلم ؟

فـسعَتْ تجـرى ، وعـينا ... هــا تـرى الـــطَّوْدَ فتَنْدَم

سـقطتْ فى شـبـرِ مـاءِ ... هو عنـد النملِ كــاليمِّ

فبكت يأْسـاً ، وصاحت ... قـبلَ جرْىِ المـاءِ فى الفمْ

ثمّ قـــالتْ وهْىَ أدرَى ... بالذى قـــالت وأعلَم :

لــيتْـنـى لــم أتــأخَّر ... ليـــتنى لم أتـقـــدَّم

ليـتنـى سَلَّمْتُ ، فـالعـا ... قِلُ مَنْ خـــاف فــسَلَّم !

صـاحِ لا تخشَ عظيـمـا ... فـالذى فى الـغَيب أعظم

*

٣١ - الغزالُ والكلبُ

كان فيما مَضى من الدهرِ بيتٌ ... من بيوتِ الكرامِ فيه غزالٌ
يَطعَم اللَّوْزَ والفطيرَ ويُسقى ... عسلا لم يَشُبْه إلا الزُّلال
فأتى الكلبَ ذاتَ يومٍ يُناجيـ ... ـهِ وفى النفسِ تَرحَةٌ وملال
قال: يا صاحبَ الأمانة، قال لى ... وكيف حالُ الوَرَى؟ وكيف الرجال؟
فأجابَ الأمينُ وهو القئُولُ ... الصَّادقُ الكامل النُّهَى المِفضال
سائلى عن حقيقةِ الناسِ، عذراً ... ليس فيهم حقيقةٌ فتقال
إنما هُم حِقدٌ ، وغشٌ ، وبُغضٌ ... وأذاةٌ ، وغيبةٌ ، وانتحال
ليت شعرى هل يستريحُ فؤادى ؟ ... كم أداريهم ! وكم أحتال !
فرِضا البعض فيه للبعضِ سُخْطٌ ... ورضا الكلِّ مطلبٌ لا يُنال
ورضا اللهِ نَرتجيهِ ، ولكن ... يؤدِّى إليه إلا الكمال
لا يغُرَّنَّكَ يا أخا البيدِ من مَوْ ... لاك ذاك القَبولُ والإقبال
أنتَ فى الأسْرِ ما سلِمتَ ، فإن ... تَمرض تقطَّعْ من جسمِك الأوصال
فاطلبِ البيدَ. وارضَ بالعُشبِ قوتاً ... فهناك العيشُ الهنىُّ الحلال
أنا لولا العظامُ وهْىَ حياتى ... لم تَطلب لى مع ابنِ آدمَ حال

٣٢ - الثعلبُ والديك

برز الثعلبُ يوماً ... في شعار الواعظينا
فمشى في الأرضِ يَهذى ... ويَسُبُّ الماكرينا
ويقولُ : الحمدُ للـ ... ـه إلهِ العالمينا
يا عِبادَ الله ، تُوبُوا ... فهْوَ كهفُ التائبينا
وازهَدُوا في الطيرِ ؛ إنّ الـ ... ـعيْشَ عيشُ الزاهدينا
واطلبوا الديكَ يؤذنْ ... لصلاةِ الصُّبحِ فينا
فأتى الديكَ رسولٌ ... من إمامِ الناسكينا
عَرَضَ الأمْرَ عليه ... وهُوَ يرجو أن يَلينا
فأجاب الديكُ : عُذراً ... يا أَضلَّ المُهتدينا !
بلِّغِ الثعلبَ عنى ... عن جدودى الصالحينا
عن ذوى التِّيجان ممن ... دَخلَ البَطْنَ اللعينا
أنهم قالوا وخيرُ ... القولِ قولُ العارفينا :
«مُخطىءٌ مَن ظنّ يوماً ... أنّ للثعلبِ دِينا »

٣٣ - النعجة وأولادها

اسـمَعْ نفـائس مـا يأتيكَ مِنْ حِكَمى

وآفـهـمْهُ فَهمَ لبيبٍ نـاقدٍ واعِى

كـانت علـى زَعـمِـهِمْ فـيـمـا مَضى غَنَمٌ

بـأرضِ بغـدادَ يـرعَى جَمْعَهـا راعـى

قـد نـام عنهـا ، فنامتْ غـيرَ واحـدةٍ

لـم يدْعُهـا فى الـدَّياجِى لـلكَرَى داعـى

أُمُّ الـفَطـيـمِ، وسـعْدٍ ، والـفَتـى عَلَـفٍ

وابـنِ امِّهِ ، وأَخـيـه مُنْيـةِ الرَّاعـى

فـبـينَمـا هـى تحتَ الليْلِ سـاهرةٌ

تُحْيـيـهِ مـا بين أَوجـالٍ وأوجـاعِ

بَدَا لهـا الذِّئبُ يَسـعَى فى الـظلامِ عـلى

بُعْدٍ، فـصـاحت: ألا قـومـوا إِلى السـاعى!

فقامَ راعى الحِمى المرعِيِّ مُنْذَعِراً
يقولُ: أين كِلابى أين مِقلاعى ؟

وضاقَ بالذِّئبِ وجهُ الأرض من فَرَق
فانسابَ فيه انسِيابَ الظَّبْى فى القاع

فقالتِ الأمُّ : يا لَلفخرِ! كان أبى
حُرّاً ، وكان وفِيّاً طائلَ الباعِ

إذا الرُّعاة على أغنامها سَهِرَتْ
سَهِرْتُ من حُبِّ أطفالى على الرّاعى !

*

٣٤ - الكلبُ والقطُّ والفأر

فـــأرٌ رأى القِطَّ عـلى الجِدارِ ... مُعَذَّباً فـى أضـيَقِ الحِصـار

والكلبُ فـى حـالتِه المعـهـوده ... مُسْتَجْمِعًا للـوثبـةِ الموعـوده

فـحـاولَ الفـأرُ اغـتنامَ الفُرصـه ... وقـال أكـفِى القِطَّ هذى الغُصَّهْ

لـعـله يكْتُبُ بـالأمـان ... لِى ولأصـحـابى مـن الجـيـران

فـســارَ للـكلبِ عـلى يَدَيْه ... ومَكّنَ التـرابَ من عـينَيـه

فـاشـتـغل الـرّاعى عن الجِدار ... ونَزلَ الـقِطُّ عـلـى بِدار

مُبْتَهِجًا يـفكـر فى ولـيـمَه ... وفى فـريسـةٍ لـهـا كـريمه

يجـعـلهـا لخَطْبِه عـلامـه ... يدكـرُها فـيـذكـرُ السَّلامـة

فـجـاءَ ذاكَ الفـأرُ فـى الأثناء ... وقـال : عـاشَ الـقِطُّ فى هَناء

رأيتَ فى الـشِّدّةِ من إخـلاصِى ... مـا كـان منـهـا سـبَبَ الخَلاص

وقـد أتيْتُ أطلـبُ الأمـانا ... فـامنُنْ به لمـعـشَرى إحـسـانا

فـقـال : حـقًّا هذه كـرامَه ... غنيـمـةٌ وقـبلَهـا سَلاَمَـه

يكفـيك فـخرًا ياكـريمَ الشِّيـمَه ... أنك فـأرُ الخطْبِ والوليـمـه

وانقَضَّ فى الحالِ علـى الضّعيفِ ... يـأكلُه بـالملحِ والـرغـيـف

فـقلت فى المـقـام قـوْلا شـاعـا ... « مَنْ حفِظَ الأعداءَ يومـاً ضاعا»

٣٥ - سليمانُ والهدهدُ

وقفَ الهُدْهُدُ فـي بـا ... بِ سُليـمـانَ بِذِلَّهْ
قال: يا مولايَ ، كن لى ... عِشَتِى صـارت مُمِلَّه
متُّ من حبَّةِ بُرٍّ ... أَحدَثتْ فى الصدر غُلَّه
لا مِيـاهُ النِّيلِ تُرْوِيـ ... ـهـا ، ولا أمواهُ دِجْله
وإذا دامَت قليـلا ... قـتلتْنى شـرَّ قِتْلَه

*

فـأشار السيِّدُ العـا ... لى إلى مَن كـان حولَه :
قـد جَنَى الهدهدُ ذنبًا ... وأتـى فـى اللؤم فَعْلَه
تلكِ نـارُ الإثمِ فـى الصدْ ... رِ ، وذى الشكوَى تَعِلَّه
مـا أرَى الحَبَّةَ إلا ... سُرِقت من بيتِ نملـه
إن للـظـالـم صدْرًا ... يَشتكى من غيرِ علِه !

*

٣٦ - سليمانُ والطاووس

سـمـعـتُ بأنّ طاوُوسـاً أتى يومـاً سـليـمـانا

يُجَرِّرُ دون وفْدِ الـطَّيْـ ـرِ أذيـالا وأردانـا

ويُظْهِرُ ريـشَهُ طـوْراً ويُخـفى الرِّيشَ أحـيـانا

فـقـال : لدَىَّ مـسـألةٌ أظـنُّ أوانَهـا آنـا

وها قـد جئـتُ أعرضُهـا على أعـتـابِ مـولانا :

ألـستُ الـرَّوْضَ بالأزهـا رِ والأنـوارِ مُزْدانـا ؟

ألم أسـتـوفِ آىَ الظَّرْ فِ أشـكـالا وألـوانـا ؟

ألم أصـبِح بيـابِكمُ لِجَمْعِ الطَّيْـرِ سُلطانا ؟

فـكيـف يَلـيقُ أن أبـقَى وقـوْمِى الـغُرُّ أوثانا ؟!

فحُسنُ الصـوتِ قد أمسَى نصـيـبى منه حِرمـانا

فـمـا تَيَّمْتُ أفئدةً ولا أسـكَرْتُ آذانـا

وهذِى الـطَّيْرُ أحـقَرُها يزيدُ الـصَّبَّ أشـجـانا

وتَهـتـزُّ الملـوكُ له إذا مـا هَزَّ عِيـدانا ؟

فـقـال له سُليـمـانُ لقـد كـان الذى كـانا

تعـالت حِكـمـةُ البـارى وجلَّ صنيـعُهُ شـانا

لقد صَغَّرتَ يا مـغـرو رُنُعمى الله كُفـرانا

ومُلكَ الطـيرِ لم تحـفِل به ، كِبـرا وطغـيـانا

فلو أَصـبحتَ ذا صـوت لمَا كلَّمتَ إِنسـانا !

*

٣٧ - الغصنُ والخنفساء

كـــان بروْضٍ غُصُنٌ نـاعمٌ | يقـولُ : جلّ الواحـدُ المنفـردْ
فـقـامـتى فى ظَرِفِهـا قـامـتى | ومثلُ حُسنى فى الورى ما عُهِدْ
فـــأقـبـلت «خُنفُسَةٌ» تنـثَنى | ولجلُهـــا يمشى بِجنـبِ الكبِدْ
تقـول : يا زَيْنَ ريـاضِ البَهـا | إنّ الذى تـطلُبُهُ قـــد وُجِد
فـانظر لِقَدّ ابنى ، ولا تفتَخـر | مـا دام فى العـالم أُمٌّ تَلد !

*

٣٨ - القبرة وابنتها

رأيتُ في بعضِ الرياضِ قُبَّرَهْ ... تُطَيِّرُ ابنَهـا بأعلى الشَّجَره

وهْيَ تقولُ : يا جمالَ العُشِّ ... لا تعتَمِدْ على الجَناحِ الهَشِّ

وقِفْ على عودٍ بجنبِ عودِ ... وافعل كما أَفعلُ في الصُّعودِ

فانتقلَت من فَنَنٍ إلى فَنَنْ ... وجَعَلَتْ لكلِّ نقلةٍ زَمَنْ

كيْ يَستريحَ الفرْخُ في الأثناءِ ... فلا يَمَلُّ ثِقَلَ الهواءِ

لكنَّهُ قد خالف الإشارهْ ... لمَّا أراد يُظهِرُ الشُّطارة

وطار في الفضاءِ حتى ارتفعا ... فخانه جَناحُه فوقعا

فانكَسَرتْ في الحالِ رُكبتاهُ ... ولم يَنَلْ منَ العُلا مُناهُ

ولو تأنَّى نالَ ما تَمنَّى ... وعاشَ طولَ عُمرِهِ مُهَنَّا

لكلِّ شيءٍ في الحياة وقتُهُ ... وغايةُ المستَعجلين فوتُه !

*

٣٩ - النعجتان

كـان لِبعـضِ الناسِ نعـجتـان
وكـانتـا فى الـغـيْطِ ترعـيـانِ

إِحـداهما سـمـينةٌ ، والثانيـهْ
عِظامـــهـــا منَ الـهُزالِ باديَه

فكانتِ الأُولى تُبـاهِى بالسِّمَنْ
وقـــولِهم بأنـهـــا ذاتُ الثَّمَنْ

وتَدَّعى أن لهـــا مـــقـــدارا
وأنهـــا تـسـتَوْقِفُ الأبصـــارا

فـتـصـبِرُ الأُختُ على الإِذلالِ
حـــــــاملـةً مَرارةَ الإِدلال

حـتى أتـى الجـزّارُ ذاتَ يومِ
وقلبَ الـنعـجـةَ دون القـومْ

فـقـال للمـــالكِ : أشْتـرِيهـا
ونقـدَ الكيسَ النفـيسَ فـيـهـا

فـانطلقتْ من فـورِها لأختِهـا
وهْىَ تَشكُّ فى صـلاح بختِهـا

تقـولُ : يا أُختـــاهُ خـبِّرينى
هل تعـرِفينَ حـامِلَ السِّكين ؟

قالت : دَعينى وهُزالى والزَّمَن
وكلِّمى الجـزّارَ يا ذاتَ الثَّمَنْ !

لكـلِّ حـــال حُلوُهـا ومُرُّها
مـا أَدَبُ النعـجةِ إِلا صـبـرُها

*

٤٠ - السفينة والحيوانات

لمَّا أتمَّ نـوحٌ الـسـفـيـنـهْ ... وحَرَّكَتْهـا الـقُدْرَةَ المُعينـهْ

جَرَى بهـا مـا لا جَرَى ببـالِ ... فما تعـالى الموْجُ كالجبالِ ...

... حتى مَشَى اللَّيْثُ مع الحِمار ... وأخَذ القِطُّ بـأيدى الـفـار

واسـتَمَعَ الفيـلُ إلى الخِنْزيرِ ... مُوتَنِسًا بصـوتِه النَّكيـرِ

وجلس الهِرُّ بجنب الكـلبِ ... وقـبَّل الخروفُ نـابَ الذئبِ

وعَطفَ البـازُ عـلى الغـزالِ ... واجـتـمع النـملُ على الأكَّال

وفَلَّت الفـرْخةُ صُوفَ الثعلبِ ... وتـيَّمَ ابنَ عِرْسَ حُبُّ الأرنـبِ

فـذهبَتْ سـوابِقُ الأحـقـاد ... وظَهـر الأحبـابُ فى الأعـادى

حـتى إذا حَطُّوا بسَفْحِ الجُودِى ... وأيـقنـوا بعَوْدةِ الـوجـودِ

عادوا إلـى ما تَقتَضيـه الشِّيمهْ ... وَرَجَعـوا للحـالـةِ القـديمهْ

فـقِسْ على ذلك أحوالَ البشَرْ ... إن شمِلَ المحذورُ، أوعَمَّ الخَطَرَ

بيْنا تـرَى العـالَمَ فى جِهـادِ ... إذْ كلهم علـى الزمـان العـادى

*

٤١ - القِردُ فى السفينة

لم يتَّفِقْ مما جرَى فى المركبِ ككذبِ القِردِ على نوحٍ النبى

فإنه كان بأقصى السَّطحِ فاشتاقَ من خِفتِه للمَزْحِ

وصاحَ : يا لَلطَّيرِ والأسماكِ لِموْجَةٍ تجِدُّ فى هَلاكى !

فبَعثَ النبى له النسورا فوجَدَتْه لاهيًا مسرورا

ثم أتى ثانيةً يصيحُ قد ثُقِبَتْ مَرْكبُنا يا نوحُ !

فأرسَلَ النبىُّ كلَّ مَن حَضرْ فلم يروْا كما رأى القِردُ خطَر

وبينما السَّفيهُ يوماً يَلعبُ جادَتْ به على المِياهِ المركبُ

فسمِعُوه فى الدُّجَى يَنوحُ يقولُ : إنى هالكٌ يا نوحُ

سَقطْتُ من حماقتى فى الماءِ وصِرْتُ بين الأرضِ والسماءِ

فلم يصدِّقْ أحدٌ صِياحَهْ وقيلَ حقًّا هذه وقاحَهْ

قد قال فى هذا المقامِ مَن سبَقْ أكذبُ ما يُلفى الكذوبُ إن صدَق

مَن كان ممنوًّا بِداءِ الكذِبِ لا يَترُكُ اللهَ ، ولا يُعفِى نبى !

*

٤٢ - نوحٌ عليهِ السلامُ والنملةُ فى السفينةِ

قَد وَدَّ نوحٌ أن يُباسِطَ قومَهُ — فدعا إليهِ معاشرَ الحيوانِ

وأشار أنْ يَلِيَ السفينةَ قائدٌ — منهم يكونُ من النُّهى بمكان

فتقدَّمَ اللَّيثُ الرفيع جلالُه — وتعرَّضَ الفيلُ الفخيمُ الشان

وتلاهُما باقى السِّباعِ ، وكلهُمْ — خَرُّوا لهيبتِهِ إلى الأذقان

حتى إذا حيُّوا المؤيَّدَ بالهدى — ودَعَوْا بطولِ العزِّ والإمكان

سَبَقَتْهمُ لخطابِ نوحٍ نملةٌ — كانت هناكَ بجانبِ الأرْدان

قالت: نبيَّ اللهِ ، أرضى فارسٌ — وأنا يَقيناً فارسُ المَيْدانِ

سأديرُ دفَّتَهَا ، وأحْمِى أهلَهَا — وأقودُها فى عصمةٍ وأمان

ضحِكَ النبيُّ وقال: إنّ سَفِينَتِىَ — لهِىَ الحياة ، وأنتِ كالإنسان

كل الفضائِلِ والعظائم عنده — هو أوّلٌ ، والغيْرُ فيها الثانى

ويودُّ لو ساسَ الزَّمانَ ، ومالَهُ — بأقلِّ أشغالِ الزمانِ يَدان

*

٤٣ - الدُّبُّ في السفينة

الدُّبُّ معروفٌ بسوءِ الظنِّ ... فاسمعْ حديثَهُ العجيبَ عنِّي

لمَّا استطال المُكْثَ في السَّفينهْ ... ملَّ دوامَ العيشةِ الظنينه

وقال : إن الموْتَ في انتظاري ... والماءُ لا شكَّ بِهِ قراري

ثم رأى مَوْجاً على بُعدٍ عَلا ... فظنَّ أن في الفضاءِ جبلا

فقال : لا بُدَّ من النزولِ ... وصَلْتُ، أو لم أحْظَ بالوُصولِ

قد قال مَن أدَّبَهُ اختبارُهْ : ... السعيُ للموتِ ولا انتظارُه !

فأسلمَ النفسَ إلى الأمواجِ ... وهْيَ مع الرياحِ في هياجِ

فشرِبَ التعيسُ منها ، فانتفخْ ... ثم رَسا على القرارِ ، ورسَخ

وبعدَ ساعتينِ غِيضَ الماءُ ... وأقلَعَتْ بأمْرِهِ السماءُ

وكان في صاحبنا بعضُ الرَّمَقْ ... إذ جاءهُ الموتُ بطيئاً في الغرَقْ

فلمحَ المركبَ فوْقَ الجُودِي ... والرَّكبُ في خيْرٍ وفي سُعودِ

فقال : يا لَجَدِّيَ التعيسِ ... أسأت ظني بالنبي الرئيسِ !

ما كان ضَرَّني لو امتثَلتُ ... ومِثلَما قد فعلوا فعلتُ ؟!

٤٤ - الثعلبُ فِي السفينةِ

أبو الحُصَيْنِ جـالَ فى السَّفِينَهْ فَعَرَفَ السَّمِينَ والسَّمِـينه
يقـولُ : إنّ حـالَه آستَحـالا وإنّ مـا كـان قـديماً زالا
لِكونِ مـا حَلَّ من المصـائبِ من غَضَبِ اللهِ على الثعـالبِ
ويُغْلِظُ الأَيمَانَ لـلـديـوكِ لمـا عَسَى يَبقـى من الشكوك
بـأنـهمْ إن نَزَلـوا فـى الأرضِ يَرَوْنَ منـه كـلَّ شىءٍ يُرْضِى
قيل : فلمـا تَركـوا السفينه مَشى مع السَّمينِ والسمينه
حتى إذا مـا نَصَفـوا الطَّرِيقـا لم يُبقِ منهمْ حَوْلَهُ رَفيقًا
وقـال : إذْ قـالوا عَديمُ الدِّينِ لا عَجَبٌ إن خَنَثَتْ يَمِـينى
فـإنما نحن بَنى الدَّهـاءِ نَعْمَلُ فـى الشِّدَّةِ للرَّخـاءِ
ومَنْ تخـاف أن يَبِـيعَ دينَهْ تَكفيكَ منه صُحْبَةُ السفينه !

*

٤٥ - اللَّيْثُ والذِّئبُ في السفينة

يقـال إنّ الـلّيْثَ في ذى الشِّدَّهْ ... رأى من الـذِّئبِ صَفَـا المودَّه

فقـال : يا مَنْ صانَ لى مَحلِّى ... فى حـالتَىْ ولايتـى وعَزْلى

إنْ عُدْتُ لـلأرض بـإذنِ الله ... وعـاد لى فـيـهـا قـديمُ الجـاهِ

أعطيكَ عِجلَيْنِ وألفَ شـاة ... ثـم تـكـونُ والِيَ الـوُلاةِ

وصـاحِبَ اللِّواءِ فى الـذِّئابِ ... وقـاهِرَ الرعـاةِ والـكلابِ

حـتى إذا مـا تَمَّتِ الكرامَهْ ... ووَطِىءَ الأرضَ على السـلامَه

سَعَى إليـه الذِّئبُ بعـدَ شهـرِ ... وهْوَ مُطاعُ النَّهىِ مـاضِى الأمْرِ

فـقـال : يا مَنْ لا تُداسُ أرضُه ... ومَنْ لـه طُولُ الـفَلا وعَرْضُه

قـد نلتَ مـا نلـتَ منَ التكريمِ ... وذا أوان المـوْعِدِ الـكـريمِ

قـال : تجـرَّأتَ وسـاءَ زعـمُكا ... فمَن تكونُ يا فتَى: وما آسمُكا ؟

أجابَه : إن كـان ظنِّى صـادِقا ... فـإنَّنى والى الوُلاةِ سـابِقًا !

*

٤٦ - الثعلبُ والأرنبُ في السفينةِ

أتى نبيَّ اللهِ يومــا ثعلبُ فقال : يا مولايَ ، إنى مُذْنِبُ

قد سوَّدَتْ صحيفتِى الذُّنوبُ وإن وجدْتُ شافعا أتوب

فاسألْ إلهى عَفْوَهُ الجليلا لتائبٍ قد جاءَهُ ذليلا

وإننى وإن أسأتُ السَّيرا عَملتُ شراً ، وعملتُ خيرا

فقد أتانى ذاتَ يومٍ أرنبُ يرتَعُ تحتَ منزلى ويلعبُ

ولم يكن مراقبٌ هُنالكا لكنَّنى تَركتُهُ مع ذلكا

إذ عفتُ فى افتراسهِ الدَّناءَهْ فلم يَصِلهُ من يدى مَسَاءَهْ

وكان فى المجلسِ ذاكَ الأرنَبُ يَسمعُ ما يُبدى هُناكَ الثعلَبُ

فقال لمَّا انقطعَ الحديثُ : قد كان ذاكَ الزُّهدُ يا خبيث

وأنت بينَ الموتِ والحياةِ من تُخمةٍ ألقتْك فى الفلاةِ !

*

٤٧ - الأرنبُ وبنتُ عِرسٍ فى السفينة

قد حَمَلَتْ إحـدى نِسا الأرانبِ وحلَّ يومُ وضعِها فى المركَبِ

فـقلقَ الرُّكّـابُ من بكائهـا وبينمـا الفتاةُ فى عَنـائها . . .

. . .جاءَت عجوزٌ من بَنات عِرسِ تقولُ : أفـدِى جارتى بنـفسى

أنا التى أُرْجَى لِهـذى الغـايهْ لأنّنِى كـنتُ قـديماً « دَايَهْ »

فـقالتِ الأرنبُ : لا يا جـارهَ فـإن بـعـدَ الألفـةِ الزِّياره

مـالى وثُـوقٌ بِبـنات عِرْسِ إنى أُريدُ دايـةً من جـنسى !

*

٤٨ - الحمارُ في السفينة

سَقط الحِمارُ منَ السَّفينةِ في الدُّجَى ... فبكى الرِّفاقُ لِفَقْدِه ، وتَرَحَّمُوا

حتى إذا طلعَ النَّهارُ أتت بِه ... نحوَ السفينةِ مَوْجَةٌ تَتَقدَّمُ

قالتْ : خُذُوهُ كما أتانِي سالماً ... لم أبْتَلِعْهُ ؛ لأنه لا يُهضَمُ !

*

٤٩ - سليمان عليه السلام والحمامة

كـــــــان ابـنُ داودٍ يُقَـــ ـــرِّبُ فى مـجالسـهِ حـمـامَهْ

خـــدَمَتـــه عُمرًا مثلَمـــا قـد شـاءَ صِـدْقـاً واسـتقـامـه

فـــمـــضَتْ إلى عُمَّاله يومـــاً تُبـلِّغُهمْ سَلاَمـــه

والـكتْبُ تحـتَ جَنـاحِهــا كُتِبَتْ لهـا فـيـها الكرامـه

فــأرادتِ الحـمــقـــاءُ تَعـ ـــرِفُ مـن رســائلـه مَرامَه

عَمـــدَتْ لأوِّلهـــا وكـا ن إلى خليـفـتِه بـرامـه[1]

فــرأتْهُ يأمُرُ فـيـــه عــا ملَه بـتــاجٍ لـلحـمـامـه

ويقـــولُ : وَفُّوهـا الرِّعـا يةَ فى الرَّحـيلِ ، وفى الإقـامـه

ويُشـــيـرُ فـى الثـانِى بأن تُعطَى رِياضــاً فى تِهـامــه[1]

وأتتْ لِثـالـثـهـا ، ولم تَسـتَحْيِ أن فـضَّتْ خِتـامــه

فــــرأتْه يـأمُرُ أن تـكـو نَ لهـا على الطَّيرِ الـزعـامــه

فـــبكـت لذاك تـندُّمـــاً هَيـهـاتَ لا تُجـدِى النَّدامـه !

---

(١) رامة ، وتهامه : أمكنة .

وأنـــت نَبـــىٌّ اللهِ وهْــــــ ـــىَ تقــولُ : يارَبٌّ السَّلامـه !

قــالت : فَقَدْتُ الكتْبَ - يـا مـولاىَ - فى أرضِ اليَمـامـه[1]

... لِتَسَرُّعِى لَمَّا أتــــــا نى البــازُ يدفــعُنى أمـامــه !

فــأجــابَ : بَل جِئـتِ الذى كــادت تقــومُ لـهُ القــيــامَه

لكــنْ كــفــاكِ عــقــوبةٌ مَن خــانَ خــانتــهُ الكرامَه !

*

(١) واليمامة : أمكنة .

٥٠ - الأَسَدُ والضفدع

إنفعْ بِمـــا أعطِيتَ مـن قــدرَةٍ … واشفع لذى الـذنبِ لَدَى المجمعِ

إذ كـيفَ تسـمــو للعُلا يا فـتَى … إن أنتَ لم تنفـع ولـم تَشـفعِ ؟

عنـدى لهـذا نـبـأ صـادقٌ … يُعجِبُ أهلَ الفضل فاسمع ، وعِ

قالوا : استَوى الليثُ على عرشهِ … فــجىءَ فى المجـلسِ بالضفْـدَعِ

وقـيل لـلسُّلطانِ : هـذِى التى … بالأمـسِ آذتْ عـالىَ المِسـمَعِ

تُنـقِـنِقُ الـدَّهْـرَ بـلا عِلَّةٍ … وتَدّعـى فى المـاءِ مـا تَدّعِى

فانظر - إليك الأمـرُ - فى ذنبِها … ومُرْ نُعـلِّقْهـا مـن الأربْعِ

فنـهضَ الـفـيلُ وزيـرُ العُلا … وقـال : ياذا الشَّرَفِ الأرفعِ

لا خـيرَ فى الملـكِ وفى عِزِّهِ … إنْ ضاقَ جـاهُ الليثِ بِالضفْـدَعِ

فكـتبَ اللـيثُ أمـاناً لـهـا … وزاد أنْ جـاد بِمُسـتنقَعِ !

*

٥١ - النملة الزاهدة

سَعْيُ الفَتى فى عَيْشِهِ عِبادَهْ ... وقائدٌ يَهديهِ للسعادهْ
لأنّ بالسَّعي يقومُ الكونُ ... واللهُ للسّاعِينَ نِعْمَ العَونُ
فإن تشأ فهذهِ حكايهْ ... تُعَدُّ فى هذا المقامِ غايهْ
كانت بأرضٍ نَملةٌ تَنْبالهْ ... لم تَسْلُ يوماً لذَّةَ البطالهْ
واشتَهرَتْ فى النمل بالتَّقَشُّفِ ... واتَّصفَتْ بالزُّهْدِ والتَّصَوُّفِ
لكن يقومُ الليْلَ مَن يَقتاتُ ... فالبطْنُ لا تَملؤه الصلاةُ
والنملُ لا يَسعَى إليهِ الحبُّ ... ونَملتى شَقَّ عليها الدأبُ
فخرجَتْ إلى التِماسِ القوتِ ... وجعلتْ تطوفُ بالبُيوتِ
تقولُ : هل من نَملةٍ تَقيَّهْ ... تُنعِمُ بالقوتِ لذى الوَليَّهْ ؟
لقد عَيِيتُ بالطَّوى المُبَرِّحِ ... ومُنذ ليْلتينِ لم أسبِّحِ
فصاحَتِ الجاراتُ : يا لَلعارِ ... لم تترُكِ النملةُ للصرصارِ !
متى رَضينا مثلَ هذى الحالِ ؟ ... متى مددنا الكفَّ للسُّؤالِ ؟!
ونحن فى عين الوُجودِ أُمَّهْ ... ذاتُ اشتِهارٍ بعُلوِّ الهمّهْ

نحـــمِلُ مـــالا يـصـبِرُ الجِمـــالُ		عن بعــضِه لــو أنهـــا نِمـــالُ
أَلم يقلْ من قـــولِه الصـــوابُ :		مـــا عِندنا لـســـائلٍ جَوابُ ؟ !
فـامضى ؛ فــإِنَّا يا عجـوزَ الشُّومِ		نَرَى كـمالَ الزُّهْدِ أَنْ تصـومى !

*

٥٢ - اليَمامَة والصيَّاد

يمامـــةٌ كـانـت بأعلى الشَّجــرهْ ... آمنَةً فـى عُشِّهـــــــا مُسْتَتِره

فـــأقـــبـلَ الصيَّادُ ذات يَومِ ... وحــامَ حــولَ الرَّوضِ أيَّ حَوْمِ

فلـم يجدْ للـطَّيْر فــيـــه ظِلاًّ ... وهــمَّ بالـرحـــيلِ حـينَ مَلاَّ

فـبـرَزَتْ من عُشِّهـا الحـمـقـاءُ ... والحُمْقُ داءٌ مــــالَه دواءُ

تقـولُ جَهْلا بالذى سيَحـدُثُ : ... يأيُّهـا الإنسـانُ ، عَمَّ تبـحثُ ؟

فالتَفَتَ الصيادُ صـوبَ الصوتِ ... ونَحــوَه سَــدَّدَ ســهْمَ الموتِ

فـسَقَطَت من عـرشِهــا المَكينِ ... ووقـعَت فى قــبـضَةِ السكِّينِ

تقـــول قـولَ عــارف مُحـقِّقِ : ... «مَلَكْتُ نفسِى لو مَلَكْتُ مَنْطقى!»

*

٥٣ - الكلبُ والحمامة

حِكايةُ الكلبِ معَ الحمامَه — تشهدُ للجنسَيْنِ بالكرامَهْ

يُقالُ : كان الكلبُ ذاتَ يومِ — بينَ الرِّياضِ غارقاً فى النَّوم

فجاءَ من ورائه الثعبانُ — مُنتفخًا كأنه الشيطانُ

وهَمَّ أن يَغدرَ بِالأمينِ — فرقَّتِ الورْقاءُ لِلمسكينِ

ونَزلتْ توًّا تُغيثُ الكلبَا — ونقَرَتْهُ نقرةً ، فهبَّا

فحمدَ اللهَ على السلامَهْ — وحَفِظ الجميلَ للحمامَهْ

إذ مَرَّ ما مرّ من الزمانِ — ثم أتى المالكُ للبُستانِ

فسَبَقَ الكلب لتلك الشجرَةَ — ليُنْذرَ الطيرَ كما قد أنذرَهْ

واتخذ النَّبحَ له علامَهْ — ففهِمَتْ حديثَهُ الحمامهْ

وأقلعتْ فى الحالِ للخلاصِ — فسَلِمتْ من طائِرِ الرَّصاصِ

هذا هو المعروفُ يأهلَ الفِطَنْ — الناسُ بالناسِ ، ومَن يُعِن يُعَنْ !

*

٥٤ - الكلبُ والببغاءُ

كـان لبـعـض الناسِ ببَّغـاءُ ... مـا ملَّ يومـاً نُطقَهـا الإصـغـاءُ

رفيـعـةُ القـدْرِ لَدَى مـولاها ... وكلُّ مَنْ فـى بيـتِه يهـواها

وكـان فى المنزلِ كـلبٌ عـالى ... أرْخَصَهُ وجـودُ هذا الغـالى

كـذا القليلُ بالـكثيـرِ ينقُصُ ... والفضلُ بعضُه لبعضٍ مُرْخِصُ

فـجـاءَها يومـاً على غِرارِ ... وقلبُهُ من بُغْـضِها فـى نارِ

وقـال : يا مليكةَ الطُّيـورِ ... ويا حـيـاةَ الأُنـسِ والسـرورِ

بحسنِ نُطقكِ الذى قـد أصبى ... إلا أريْتِنى اللِّسـانَ العـذْبا

لأننى قـد حِرتُ فـى التـفكُّرِ ... لَمَّا سـمـعتُ أنه من سُكَّرِ !

فـأخْرَجتْ من طيشِها لسـانهـا ... فـعضَّهُ بنابه ، فـشـانَهـا

ثم مـضى من فـورِهِ يصيحُ : ... قطعـتُه لأنه فـصـيحُ !

ومـا لـهـا عندىَ من ثـأرٍ يُعـدّ ... غيـرَ الذى سمَّوْهُ قِدْماً بالحسدْ !

*

٥٥ - الحمارُ والجمل

كـان لبـعـضهم حمـارٌ وجَملْ ... نالهُمـا يومـاً من الرِّق مَلَلْ

فـانتظرا بَشـائرَ الظَّلمـاء ... وانطَلـقـا مـعًا إلـى البَيْداء

يجـتـليـانِ طلعـةَ الحـريَّة ... ويَنشقـانِ ريحَهـا الزكـيَّة

فـاتفَقـا أن يَقضيـا العُمْرَ بهـا ... وارتضَيـا بمائهـا وعُشـبِهـا

وبعـدَ ليـلةٍ من المسـيـرِ ... التـفت الحِمـارُ للبـعـيـرِ

وقـال : كـربٌ يا أخـى عظيمُ ... فـقفْ ؛ فـمـشْي كلُّهُ عـقـيمُ !

فـقـال : سَلْ فِداكَ أُمِّى وأبى ... عـسى تَنـالُ بى جليلَ المطلبِ

قـال : انطلقْ مـعى لإدراكِ المُنى ... أو انتظر صـاحـبَكَ الحـرَّ هنا

لا بُدّ لـي مـن عَوْدة لـلـبَلـدِ ... لأننى تركـتُ فـيـه مِقـوَدى !

فـقـال سـر والزَمْ أخـاكَ الوتِدا ... فـإنما خُلِقْتَ كـى تُقـيَّدا !

*

٥٦ - دودة القز والدودة الوضاءة

لِدودةِ القـــزِّ عندي ... ودودةِ الأضـــواءِ
حكايةٌ تشـتَهيـهـا ... مســامعُ الأذكيــاءِ
لمَّا رأت تلـكَ هـذِي ... تُنيــرُ في الظلمــاءِ
سَعَتْ إليها ، وقالت : ... تعيشُ ذاتُ الضِّيـاءِ !
أنـا المؤمَّلُ نفـعي ... أنا الشهيرُ وفـائي
حلا ليَ النَّفعُ حتى ... رضيتُ فيه فنائي
وقـد أَتيتُ لأحظى ... بوجهِك الوضَّاءِ
فهل لنورِ الثُّرَى في ... مَوَدَّتي وإِخائي ؟

*

قـالت : عرَضتِ علينا ... وجهًا بغيرِ حياءِ !
مَن أنتِ حتى تُداني ... ذاتَ السَّنا والسَّناءِ ؟!
أنا البديعُ جمالي ... أنا الرفيعُ عَلائي
أين الكواكبُ مني ؟! ... بل أين بدرُ السماءِ ؟!

فـامضى ؛ فـلاوُدَّ عندى إذ لستِ من أكـفـائى !

*

وعـنـد ذلـك مـرَّتْ حـسناءُ مـعْ حـسـناءِ

تـقـولُ : للهِ ثوبـى فى حُسنِه والبَهـاء !

كـم عـنـدنـا مـن أيـادٍ لـلدودةِ الـغـراءِ !

ثم انـثَنتْ فـأتتْ ذى تقـولُ لـلحـمقْـاءِ :

هـل عـنـدكِ الآنَ شكٌّ فى رُتبـتـى القَعـساءِ ؟!

وقـد رأيـتِ صنيـعى وقـد سـمـعتِ ثَنائى ؟!

إِن كـان فـيـك ضـيـاءٌ إن الثـناءَ ضـيـائى

وإِنـه لضـيـاءٌ مـؤيَّدٌ بالبـقـاءِ !

*

٥٧ - الجمل والثعلب

كـان على بـعضِ الدُّروبِ جَملُ
حَمَّلهُ المالـكُ مـا لا يُحـمـلُ

فـقال : يا لِلـنَّحسِ والشقـاءِ !
إن طال هـذا لم يَطُلْ بقـائى

لم تحـملِ الجـبـالُ مـثلَ حِملى
أظنُّ مـولاى يُريد قـتـلي !

فـجـاءهُ الثـعلبُ من أمـامهْ
وكـان نالَ القـصـدَ من كـلامهْ

فقـال : مهـلاً يا أخا الأحـمالِ
ويا طويـلَ البـاعِ فى الجِمـالِ

فـأنتَ خـيـرٌ من أخيكَ حـالا
لأنـنـى أتعـبُ مـنـك بـالا

كـأن قُدّامِىَ ألـفَ ديـكِ
تسـألنى عـن دمـهـا المسـفـوكِ

كـأنّ خَلفى ألفَ ألـفِ أرنبِ
إذا نهـضتُ جـاذبتـنى ذَنَبى

ورُبَّ أُمٍّ جـئتُ فى مُناخِهـا
فـجعـتُها بالفـتكِ فى أفراخِهـا

يبـعَثُنى مِنْ مَرْقـدى بُكـاها
وأفـتحُ العـيْن على شكواها

وقـد عـرفتَ خـافىَ الأحـمـالِ
فـاصـبِرْ ، وقلْ لأُمَّةِ الجِمـالِ :

ليسَ بحـملٍ مـا يَمَلُّ الظـهـرُ
مـا الحِمْلُ إلا مـا يُعـانى الصَّدْرُ

*

٥٨ - الغزالة والأتان

غـــزالةٌ مـــرَّتْ على أتانِ تُقـــبِّلُ الفَطِيمَ في الأسنانِ

وكان خلف الظَّبيةِ ابنُها الرَّشا يودُّها لو حَمَلَتْه في الحَشا

فـفـعلتْ بسـيِّد الصِّغارِ فِعْلَ الأتانِ بابنِها الحمارِ

فـأسرع الحمارُ نحوَ أُمِّهْ وجـاءَها والضحكُ مِلْءُ فـمِه

يصيحُ : يا أُمَّاه ، ماذا قد دَها حتى الغزالةُ استَخفَّت ابنَها ؟!

*

٥٩ - الثعلبُ الذي انخدع

قـد سـمعَ الثـعلبُ أهلَ القـرَى ... يدعـونَ مُحـتـالا بـيـا ثعلبُ !

فــقــال حــقًّا هذه غـــايةٌ ... فى الفـــخْرِ لا تُؤْتَى ولا تُطْلب

مَن فى النُّهى مِثلِىَ حــتى الورَى ... أصــبَحْتُ فـيــهم مَثـلا يُضْرب

مـــا ضَرَّ لو وافــيتُهــم زائرًا ... أَرِيهِمُ فـوقَ الذى اسـتـغـربَوا

لـعـــلَّهــم يُحيُّون لــى زيـنــةً ... يَحــــضُرُها الدِّيـكُ أَوِ الأرنب

وقــصَدَ الـقــوْمَ وحــيــاهُم ... وقــام فِــيــمـــا بينـهم يَخطُب

فـــــــأُخِذَ الـزائِرُ مـن أُذنه ... وأُعطِـىَ الـكلـبَ بِه يـلـعَب !

فــلا تَثِق يومـــاً بِذى حِيـلةٍ ... إِذْ ربَّمـــا يَنخَدِعُ الثــعـلب !

*

٦٠ - ثعالةَ والحِمارُ

أتى ثعـــالَةَ يومـــاً من الضَّواحى حِمـــارُ

وقـــال إن كنتَ جـــارى حـــقًّا ونعمَ الجـــار

قل لى فـــإنى كـئـيبٌ مُفكرٌ مُحـــتـــار

فى مـــوْكِبِ الأمسِ لَمَّا سرنا وسارَ الكِبار . . .

. . . طرَحْتُ مولاى أرضاً فـــهل بذلك عـــار

وهل أتيْتُ عظيمـــاً ! فـقـــال : لا يا حِمـار !

*

٦١ - البَغْلُ والجَوَادُ

بغلٌ أتى الجوادَ ذاتَ مَرَّهْ ... وقلبُهُ مُمتلِىءٌ مَسَرَّهْ

فقال : فضلى قد بدا يا خِلِّى ... وآنَ أن تعرِفَ لى مَحَلِّى

إذ كنتَ أمسِ ما شيًا بجانبى ... تعجَبُ من رقصِىَ تحتَ صاحبى

أختالُ ، حتى قالتِ العبادُ : ... لِمَنْ مِن الملوكِ ذا الجوادُ ؟

فضَحِكَ الحِصانُ من مقالِهِ ... وقال بالمعهودِ من دلالِهِ :

لم أرَ رقصَ البغلِ تحتَ الغازى ... لكن سمعتُ نقرَةَ المِهمارِ !

*

٦٢ - الفأرة والقطة

سَمِعْتُ أَنَّ فــــأْرَةً أتــاهــا شــقــيــقُهــا يَنعَى لهــا فَتــاها

يصيحُ : يالى مِن نُحـوسِ بَختى مَنْ سَلَّط القِطَّ على ابنِ أُختى ؟!

فــولـولَتْ وعـــضَّتِ التُّرابَا وجَمَعَتْ لــلـمأْتَمِ الأتــرابــا

وقـالتِ : اليَومَ انـقـضَت لذّاتى لاخـيْرَ لـي بعـدَكَ فى الحــيـاةِ

من لى بـهـرٍّ مــثلِ ذاك الهــرِّ يُريحُنى مـن ذا العــذابِ المرِّ ؟!

وكـــان بالقـــربِ الذى تـريد يَســمَعُ مــا تُبْدِى ومـا تُعــيدُ

فـجــاءَها يقــولُ : يا بُشْراكِ إن الذى دَعَوْتِ قــــد لبَّاك !

فــفَزِعت لما رأتـه الفــارَهْ واعــتَصَمَتْ منه ببيْتِ الجــارَهْ

وأشــرفتْ تقــولُ لــلسَّفــيــهِ إن مُتُّ بعدَ ابنـى فَمَنْ يَبكيه ؟!

*

٦٣ - الغزالُ والخروفُ والتيسُ والذئبُ

تَنازَعَ الغزالُ والخروفُ ... وقال كلٌّ : إنه الظَّريف

فرأيا التَّيسَ ؛ فظَنَّا أنّه ... أعطاهُ عقلاً مَنْ أطالَ ذقنَه !

فكلَّفاه أن يُفتِّشَ الفَلا ... عن حَكَمٍ له اعتبارٌ فى المَلا

ينظُرُ فى دَعواهُما بالدِّقَّةْ ... عساهُ يُعطِى الحقَّ مُستحِقَّه

فسارَ للبحثِ بِلا تَوانى ... مُفتخرا بثقةِ الإخوانِ

يقول : عِندى نظرةٌ كبيرهْ ... تَرفعُ شأنَ التيْسِ فى العَشيرهْ

وذاكَ أن أجدرَ الثَّناءِ ... بالصِّدْقِ ما جاءَ من الأعداءِ

وإننى إذا دعوتُ الذِّئبا ... لا يستطيعانِ له تكذيبا

لكونه لا يَعرفُ الغزالا ... وليس يُلقِى للخروفِ بالا

ثم أتى الذِّيبَ ، فقال : طِلْبَتى ... أنتَ، فسِرْ معى، وخُذْ بلحيتى !

وقادَه للموضعِ المعروفِ ... فقامَ بين الظبىِ والخروفِ

وقال : لا أحكمُ حَسْبَ الظاهرِ ... فمزَّقَ الظَّبْيَيْنِ بالأظافرِ

وقال للتيْسِ : انطلقْ لِشأنِكا ... ما قتَلَ الخَصْمَيْنِ غيرُ ذَقنِكا !

٦٤ - الثعلبُ والأرنبُ والديكُ

مَن أعجَبِ الأخبارِ أن الأرنبا لمّا رأى الديكَ يَسُبُّ الثعلبا

وهْوَ على الجدارِ فى أمانِ يَغلبُ بالمكانِ ، لا الإمكانِ

داخَلَهُ الظنُّ بأنّ الماكرا أمْسى من الضّعفِ يُطيقُ الساخرا

فجاءَهُ يَلْعَنُ مثل الأوّلِ عدادَ ما فى الأرضِ من مُغفَّلِ

فعصَفَ الثعلبُ بالضعيفِ عَصْفَ أخيه الذِّيبِ بالخروف

وقال : لى فى دَمِكَ المسفوكِ تسليةٌ عن خيبَتى فى الديكِ !

فالتفتَ الديكُ إلى الذبيح وقال قولَ عارفٍ فصيح

ما كلُّنا يَنفعُهُ لسانُهْ فى الناسِ مَن يُنطقُهُ مكانُهْ !

*

٦٥ - الثعلبُ وأمُّ الذئبِ

كـــان ذئبٌ يتـــغـــذَّى فـجـرتْ فى الزَّوْرِ عَظْمَهْ

الزَمَتْهُ الـصَّوْمَ حـــتى فَجعَتْ فى الـروح جسْمَهْ

فــأتـى الثـعلَبُ يـبكى ويُعـــزِّى فـيـــه أُمَّه

قـــال : يا أُمَّ صـــديقى بـــىَ ممـــا بِك غُمَّهْ

فاصـبِرى صبـراً جمـيلاً إِنَّ صـبْرَ الأُمِّ رحْمـــه !

فـأجابتْ : يا ابنَ أُخـتى كلُّ مـا قـــد قلتَ حكمَهْ

مـا بىَ الغـــالى ، ولكن قـولُهُم : مـاتَ بِعظْمَه !

ليْتـــه مـــثـلَ أخـيـــه مـاتَ محـسـودا بتُخْمَه !

*

الفهرس

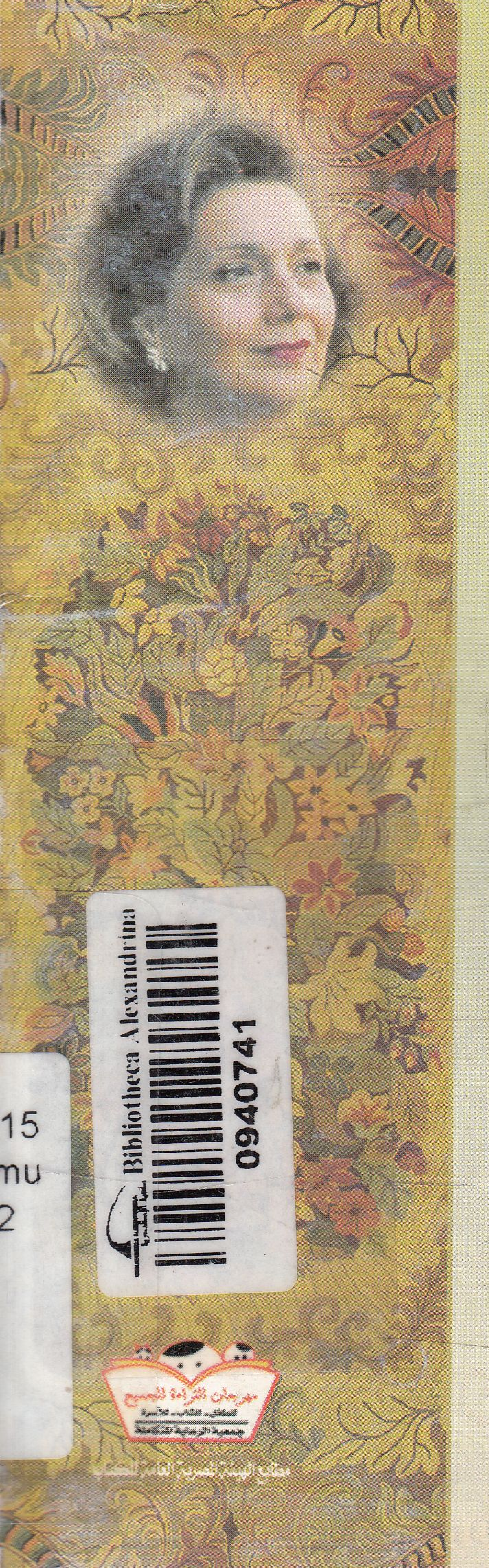
الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١١٣٩٤
I.S.B.N 977-01-7886-1



لقد أدركنا منذ البداية
أن تكوين ثقافة المجتمع
تبدأ بتأصيل عادة
القراءة، وحب المعرفة، وأن
المعرفة وسيلتها الأساسية
هى الكتاب، وأن الحق في
القراءة يماثل تماماً الحق
فى التعليم والحق فى
الصحة.. بل الحق فى
الحياة نفسها.

سوزان مبارك

الثمن ١٥٠ قرشاً